دور المرويات الاسلامية في الاساءة الى الاسلام
فلم (براءة المُسلمين) أنموذجا

د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي
الكلية الاسلامية الجامعة

The Role of the Islamic Narratives in Offending Islam
The Film (Innocence of Moslems) as a Sample

Dr. Abdul Zahra Jasim Al-Kafaji
Collective Islamic College

Abstract

Dealing with the film (Innocence of Moslems) does not aim at defending the Prophet Mohammad (pbuhh) because the Prophet is not primarily a defendant and the All Mighty God is the one who took the responsibility to defend him when He said "Surely We suffice you against the mockers" and said "Will not God suffice His bondman?"

The writer of the film (Innocence of Moslems) claims that he has read the Holy Quran and a lot of the Islamic books and come up with the scenario of the film. The one who sees the film realizes some validity in what the writer claims because a lot of its scenes have roots in the historical heritage and the Islamic Arab jurisprudence.

المقدمة:

ليس الهدف من تناول فلم (براءة المُسلمين) الدفاع عن النبيّ محمد(صلّى الله عليه وآله)؛ لأنّ النبيَّ غيرُ مُتّهم من جهة، ومن جهةٍ أخرى إنّ الله تعالى اسمه هو الذي تولّى الدفاع عنه، فقد قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[1]، وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[2]، كما لم يكن الهدف من البحث التعرّض للمرويّات ونقدها لبيان صحّتها من عدمه، وإنّما الهدف هو الردّ على المسيء لغرض الوصول به إلى الحقيقة التي غابت عنه سواء بحسب قصورٍ منه في الفهم، أو عدم تمكّنه من الوصول إلى مصادرها، أو غيبها لأفكار مسبقة عنده منشأها الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين.

وفي فلم (براءة المسلمين) موضوع البحث يدّعي كاتبه أنّه قرأ الكثير من الكتب الإسلامية وقرأ القرآن. فخلص إلى كتابة سيناريو الفلم.

والذي يُشاهد ما عرض من الفلم، يتلمّس الكثير من الصدق فيما ادّعاه الكاتب ولم يبتعد كثيرًا عن الحقيقة فيما قال؛ لأنّ ما طرحه الفلم في المشاهد التي عُرِضت، لها جذورها وربما نصّ الحوار في العديد من المرويّات في التراث التاريخي والفقهي العربي والإسلامي التي ما تزال نجد لها صدى في الكثير من الكتابات السلفيّة ومحاضرات وفتاوى عدد من الفقهاء والدُعاة.

وعلى ضوء ما تقدّم فإنّ مشكلة البحث تتحدّد من خلال الإجابة على التساؤل الآتي: هل إنَّ كاتب الفلم اعتمد مرويات السيرة في إعداد فلمه؟ وكيف وظّف تلك المرويّات لتحقيق أهدافه من خلال تقديم الفلم؟

ومن خلال الإجابة على السؤالين أعلاه يمكن الكشف عن حقيقة أنَّ الكثير ممّا رُوِي عن سيرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وخصوصيّاته في المصادر العربية الإسلامية التي تحظى باحترام يصل حد التقديس، إنما فيه الكثير من الإساءة إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) وإنّ كثيرا مما يظهر من إساءة إليه في مختلف وسائل الثقافة إنما مصدره المرويات المبثوثة في بطون الكتب؛ ولذلك فإنّ هذا البحث يمكن أنْ يكون رنّة في جرس الإنذار الذي لم يزل يتردد صوته داعيًا أهل العلم ومن يقفون على سُدّة تربية المجتمع أنْ يتقوا الله فيما يصفون به النبي(صلى الله عليه وآله).

(1) سورة الحجر, الاية /95 .
(2) سورة الزمر, من الآية/ 36 .

اقتصر الباحث على تناول المشاهد التي عُرِضت من الفلم في وسائل الإعلام المُتاحة وتمّ التركيز على نسخة ناطقة باللغة العربية من خلال موقع You Tube بالرجوع إلى أصل الرواية الأقرب إلى مادة الحوار في كلّ مشهد. وبيان مدى تصرّف كاتب الحوار بالرواية وتوجيهها بما يخدم الغرض الذي يرمي إليه، وتوضيح لرؤية المخرج الذي حاول فيها شدّ المُشاهد (المُتلقّي) إلى المشهد من دون التعرّض إلى الرواية ذاتها بالنقد من حيث صدقها من عدمه. وبناءً على ذلك فقد قسم البحث إلى:

المقدّمة. ومبحث تمهيدي تناول فيه الباحث التعريف بالإساءة، وما لَحِق النبيّ (صلى الله عليه وآله) منها بمسحة تاريخية تطرّقت بشيء من الإيجاز إلى مُعاناة الرُسُل الذين سبقوا نبيّنا(صلى الله عليه وآله) في المصادر التي تُعدُّ مُقدّسة عند صانعي الفلم موضوع البحث، في قصدٍ من الباحث؛ لتوضيح الجذور الثقافية لهم، وأنّ الإساءة إلى الأنبياء(عليهم السلام) لم تكن جديدة عليهم.

كما تعرّض هذا المبحث إلى أهمية مختلف وسائل الإعلام في بناء ثقافة المجتمع والتأثير فيه، وتطرّق أيضًا إلى القيمة الفنّية للفلم من خلال آراء المختصّين في هذا الميدان.

ثمّ تناول الباحث الفلم على أساس المواضيع التي طرحها لا على أساس التسلسل الذي قُدّمت به المشاهد، وعلى النحو الآتي:

- المبحث الاول: التخويف بالإسلام .
- المبحث الثاني: الرسول(صلى الله عليه وآله) والرسالة .
- المبحث الثالث: شبهة النساء في حياة النبي(صلى الله عليه وآله).
- المبحث الرابع: الإسلام والآخر .

وقد اعتمد الباحث على عدد من المصادر الإسلامية التي تكوّن رواياتها مادّة الفلم، وكذلك استفاد البحث من عدد من الكتابات التي نُشِرت في مواقع مختلفة على الشبكة العنكبوتية.

- **تمهيد:**

- **تعريف الإساءة**

الإساءة لغةً: "أساء الرجل إساءةً خلاف أحسنَ، وأساء إليه نقيض أحسنَ إليه"[1]. فالإساءة لفظٌ يُطلق على الفعل القبيح، ويُطلق على فعل المكروه بالغير وهي "اسمٌ جامعٌ للآفات والداء"[2].

- الإساءة اصطلاحًا:

لم يضع الفقهاء والمفسّرون اصطلاحًا مُحدّدًا للإساءة على الرغم من كثرة ورودها مفردةً في القرآن الكريم، ولكنّهم عبّروا عن معنى الإساءة في المعنى المُراد منها أينما وردت.

وخلاصة القول في تعريف الإساءة هي: ((فعل أمر قبيح جار مجرى الشَّرِّ يترتَّب عليه غمٌّ لإنسان في أمور دينه ودنياه، سواء أكان ذلك في بدنه أو نفسه أو فيما يحيط به من مال أو ولد أو قنية))[3]. وبهذا المعنى سوف يتناول البحث ما تعرّض إليه النبيُّ (صلّى الله عليه وآله) منذُ أنْ جهرَ بدعوة الإسلام، وإلى يومنا هذا.

وإنه لم يكن أوّل من تعرّض للإساءة، فقد واجه الرسل الذين سبقوه، من أعدائهم الذين عجزوا عن مواجهتهم بالحُجّة والبرهان، مقاومةً حاولوا فيها الانتقاص من رُسُلهم والنيل منهم بشتّى الوسائل، وقد قصّ علينا القرآن الكريم نماذج كثيرة ممّا تعرّض إليه الأنبياء من قومهم[4].

(1) ابن منظور . جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هج), لسان العرب,القاهرة,الدار المصرية للتاليف والترجمة, 1/ 95مادة سوى .
(2) المصدر نفسه .
(3) صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح, نظرة النعيم في اخلاق الرسول الكريم, السعودية,دار الوسيلة, 1418هج،1998م, 9/ 3838.
(4) ينظر: سورة الذاريات, الايات/ 38– 39، سورة ص,الاية/ 4، سورة البقرة, الاية/ 113، سورة الأعراف, الايات/ 65 – 66.

وفي الوقت الذي يستعرض فيه القرآن معاناة الرسل، فهو يُكرمهم ويثني عليهم، في حين نجد الكثير من النصوص الموجودة في كتب الديانات الأخرى المُتداولة بين الناس والتي يعتقد بها أصحاب تلك الديانات, فعلى سبيل المثال,يجد المتصفح (للكتاب المقدس) الكثير من النصوص التي تتهم الانبياء باقتراف الخطايا والذنوب الكبيرة، كالزنى، والزنى بالمحارم، بما لا ينسجم، بل يتعارض مع المهمّة التي هيّأ اللهُ (تعالى ذكره) الأنبياء إليها، واختارهم من دون سواهم؛ ليكونوا مُبشِّرين ومُنذِرين، وجعل منهم القُدوةَ الحَسنة التي تجسّدت في أقوالهم وأفعالهم وفي كل ما كانوا يدعون الناس إليه. ومن المثل على ذلك:

((لِذلِكَ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ: هأَنَذَا أُطْعِمُهُمْ أَفْسَنْتِينًا وَأَسْقِيهِمْ مَاءَ الْعَلْقَمِ، لأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ أَنْبِيَاءِ أُورُشَلِيمَ خَرَجَ نِفَاقٌ فِي كُلِّ الأَرْضِ.))[1]، وفي نصٍّ آخر: ((وَفِي أَنْبِيَاءِ أُورُشَلِيمَ رَأَيْتُ مَا يُقْشَعَرُّ مِنْهُ. يَفْسِقُونَ وَيَسْلُكُونَ بِالْكَذِبِ، وَيُشَدِّدُونَ أَيَادِيَ فَاعِلِي الشَّرِّ حَتَّى لاَ يَرْجِعُوا الْوَاحِدُ عَنْ شَرِّهِ. صَارُوا لِي كُلُّهُمْ كَسَدُومَ، وَسُكَّانُهَا كَعَمُورَةَ))[2].

وفي نصٍّ آخر: ((مِنْ أَجْلِ خَطَايَا أَنْبِيَائِهَا، وَآثَامِ كَهَنَتِهَا السَّافِكِينَ فِي وَسَطِهَا دَمَ الصِّدِّيقِينَ،))[3]، وفي سِفر حزقيال: ((أَنْبِيَاؤُكَ يَا إِسْرَائِيلُ صَارُوا كَالثَّعَالِبِ فِي الْخِرَبِ))[4]، وهناك الكثير من هذه النصوص، ويبدو أنَّ الإساءة تكون أكثر وضوحًا عندما توجّه لكلِّ نبيٍّ بعينه، فقد جاء في الكتاب المُقدّس على نوحٍ (عليه السلام): ((وابتدأ نوح يكونُ فلّاحًا وغرسَ كَرْمًا، وشرِبَ من الخَمْر، فسَكَر وتعرَّى داخل خبائه، فأبصَر حام أبو كنعان عورةَ أبيه))[5].

ولم يسلم نبيُّ الله داود (عليه السلام) من الإساءة، فقد جاء فيه ((أنَّ داود قام من سريره وتمشّى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحمّ، وكانت المرأةُ جميلة المنظر جدًّا، فأرسل داود وسأل عن المرأة... فأرسل داود رُسُلاً وأخذها فدخلت عليه، فاضطجع معها وهي مُطهَّرةٌ من طَمَثِها، ثمّ رجعتْ إلى بيتها وحبلت المرأة))، ويُكمل النص سرد القصّة بأنّ داود عالج الأمر بأنْ أرسل زوجها إلى جبهات القتال حتّى يتخلّص منه، ((اجعلوا أوريَّا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرَب ويموت))[6]. وجاء فيه على سليمان (عليه السلام): ((وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ))[7].

أمَّا نبيُّ الله لوط فيتحدّث عنه الكتاب المُقدّس بأنّه سُقِي خمرًا وزنى بابنتيه اللتين كانتا معه في المغارة ((فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنًا ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة أيضًا ولدت ابنًا ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم))[8].

وهكذا لم يسلم نبيٌّ من الإساءة له في الكتاب المُقدس؛ ولذلك فليس غريبًا أنْ يتطاول من كانت أسس عقيدته وأصول ثقافته الكتاب المقدّس، على مقام النبيّ الكريم (صلى الله عليه وآله).

في الوقت الذي بدأ فيه النبي (صلى الله عليه وآله) إعلان دعوته إلى الإسلام، ووجدت قريش أنّ هذه الدعوة تمس آلهتها بسوء، وأنّ سقوط هذه الآلهة يعني انحسار مكانتهم بين قبائل العرب من وجهة نظرهم، وقفت للنبيّ (صلى الله عليه وآله) بالمرصاد، فكان عمّه أبو لهب أوّل من ناصبه العداء، ولم تكد تمضي السنوات الأولى حتى انتشرت الدعوة الإسلامية، وتجاوزت في انتشارها قدرات قريش، حيث باءت كلّ محاولتها بالفشل، وخرج الإسلام عن حدود مكة ليعلن قيام دولته في المدينة (يثرب).

ثمّ ما لبث أن انتشر الإسلام لتنهار أمام زحفه حضارة أكبر دولتين آنذاك، وهما: الدولة الساسانية في الشرق، ودولة الروم البيزنطية في الشمال والغرب. وما أن احتكّ المسلمون بالمجتمعات الغربيّة خلال دخولهم إسبانيا وعلى حدود الدولة

(1)برنامج الانجيل بالتشكيل والبحث, الاصدار الثاني, كتاب كل العصور, ارميا: 10/ 15 .
(2) ارميا, 10/ 14 .
(3) ارميا, 13/ 4 .
(4) حزقيال, 4/ 13 .
(5) التكوين,20/ 21 .
(6) صموئيل الثاني, 1/ 2 – 19 .
(7) الملوك, 11/ 3 – 6 .
(8) التكوين, 30/ 30 – 38 .

البيزنطية في الشام من قبل، بدأ العِداء يُشكّل ظاهرة تتمثّل بالنيل من شخص النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) في محاولة يائسة لإسقاط الإسلام من خلال إسقاط نبوّة النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله).

وكانت أهمّ محطّات الإساءة إلى النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله) من غير المُسلمين ؛ هو ما كتبه يوحنّا الدمشقي (676 – 749م) في كتابه الذي سمّاه (الهرطقات المئة). وقد خصّص الهرطقة رقم (100) للحديث عن الإسلام ولذلك سمّاها (هرطقة الإسماعيليين) نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) حيث ينتهي إليه نسب النبي محمّد (صلى الله عليه وآله) وفيها يقول: ((محمّد نبيٌّ كذّاب قابل راهبًا آريوسيًّا فاخترع بدعته))[1].

ثمّ جاء الراهب الألماني مارتن لوثر (1483 – 1546م) وقد بدأ عصر الإصلاح في أوربا، وكان قد كتب في أحد مقالاته: ((إنّ محمّدا هو الشيطان وهو أوّل أبناء إبليس)) وزعم ((أنّ الرسول كان مصابًا بمرض الصَرَع وكانت الأصوات التي يسمعها كأنّها وحيٌ جزءًا من مرضه))[2].

ولعلّ أشهر محطّات الإساءة في حقل الكتابة في العصر الحديث، روايةٌ كُتِبَت تحت عنون (آيات شيطانية) للكاتب البريطاني من أصول هندية (سلمان رشدي) التي صدرت في 26 أيلول من عام 1988م، وقد أخذت الرواية اسمها ومضمونها من رواية ابن اسحاق، وهي أن الرسول (صلى الله عليه وآله) في مرحلة من مراحل الصراع مع المشركين في مكّة ((تمنّى في نفسه أنْ يأتيه من الله ما يُقارب بينه وبين قومه وكان يسره مع حب قومه وحرصه عليهم أنْ يلين عليه بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم، حتى حدّث بذلك نفسه، وتمناه واحبه فأنزل الله عزّ وجل "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (*) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (*) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى" فلمّا انتهى إلى قوله: "أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (*) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى" ألقى الشيطان على لسانه كما كان يحدّث به نفسه، ويتمنّى أنْ يأتي به قومه: تلك الغرانيق العُلا وإنّ شفاعتهنَّ لتُرتجى" فلمّا سمعت ذلك قريش فرِحوا))[3].

وقد تناولت رواية سلمان رشدي السيرة النبوية بأسلوب غير مُؤدّب، فهو يرمز إلى مكة بمدينة الجاهلية ويصفها على أنها ملأى بالمواخير والعاهرات حتّى إن العاهرات تَسَمَّينَ بأسماء زوجات النبيّ ((وعندما انتشرت أنباء العاهرات في أرجاء المدينة... وإنّ كلاّ منهنّ تدّعي أنها واحدة من زوجات النبي))[4].

ويمكن القول: إنّ رواية سلمان رشدي كانت انطلاقة الإساءة إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) في العصر الحديث، كذلك الحال فيما دوّنته الكاتبة الإيطالية أوريانا فالاتشي على صفحات الصحف في مختلف بُلدان العالم، ولعلّ ذروة حقدها على الإسلام ما سطّرته في كتابها (الغضب والكبرياء) الذي كرّسته لمُهاجمة العقيدة الإسلامية, والعرب، والمسلمين بشكل عنيف ورذيل مُحمّلة إياهم مسؤولية الإرهاب في العالم. أما كتابها الآخر (قوة العقل) فيه الكثير مما يُسيء إلى الإسلام والمسلمين ومنه ((عقيدة الإسلام تبنّت الكراهية بدل المحبّة، والعبوديّة بدل الحريّة))[5].

وما كتبه (كريك ونن) في كتابه (نبي الخراب: Profet of doom) لا يقلّ بذاءةً عن غيره ممّن أساء إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقد وصفه بقاطع طريق استخدم الإرهاب والبطش والغدر للوصول إلى السلطة[6].

إنَّ ما ذُكِرَ لا يعدو أنْ يكونَ نماذج لظاهرة أدبيّة أخذت عنواناتها مساحات كبيرة من واجهات معارض الكتب.

ولم يغفل المسيئون ما للصحف من أهمية وسعة انتشار، فوجّهوا اهتمامهم صوبها ليسوّدوا صفحاتها بالكثير من المقالات والرسوم التي تسيء إلى النبيّ محمد(صلى الله عليه وآله) بشكل مباشر وللعقيدة الإسلامية وللمسلمين. فعلى سبيل المثال لا الحصر إن صحيفة (بلاندر بوستن) الدانماركية التي نظّمت مسابقة الرسوم الكاريكاتورية في 6 أيلول 2006 خُصصت للإساءة إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وامتازت الرسوم الفائزة بالمسابقة وعددها (12) رسمًا

(1) أسطورة الراهب بحيرى في المصادر الإسلامية والمسيحية، سيمون جرجس، على موقع: www.annaqed .
(2) لمحة من تاريخ الإساءة إلى الحبيب (ص) على موقع: www.islamweb.net .
(3) الطبري .ابو جعفر محمد بن جرير(ت 310 هج), تاريخ الطبري,تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم,دار المعارف بمصر, 2/ 338 .
(4) سلمان رشدي . ايات شيطانية. pdf الموقع الكتروني 4shared, ص192 .
(5)محمد سيد شحاتة تاريخ الهجوم الحديث على شخص الرسول.الموقع الاكتروني http://drshehata.alhamuntada.com
(6) انتقاد محمد, http://ar.wikipedia.org/wiki

تميّزت بشدّة إساءتها للنبي ونشرتها على صفحاتها، وما أنْ حققت هذه الصحيفة نجاحها حتى أخذت صحف أخرى تحذو حذوها، وأصبحت الرسوم الكاريكاتورية مشروعًا في الإساءة إلى الإسلام، ولذلك سارعت شركة (كيرسنت مون ببلشنك) إلى إصدار كتيب كاريكاتوري تحت عنوان (محمد صدّق وإلا) من 26 صفحة يطرح السيرة النبوية بشكل رسوم كاريكاتورية مهينة[1]. أما على صعيد السينما هذا الفن الذي يشكّل واحدًا من روافد ثقافة الإنسانية، فقد قدّم الكثير من الأعمال التي خدمت الإنسانية من خلال تقديمها النبيّ (صلى الله عليه وآله) والإسلام بصورته الناصعة والمشرقة، الأمر الذي يؤكّد أنّه الفنّ السينمائي الذي يمكن توظيفه ليؤدي الدور الذي يسعى المنتج لتحقيقه، وخير مثال على هذا النهج ما قدّمته شركة (PBS) التلفزيونية الأمريكية في فلم (محمد تراث نبي) الذي استغرق إعداده ثلاث سنوات، وتصل مدّته إلى ساعتين، وقد عُرِض على قناة (Pbc) يوم الأربعاء 18 ديسمبر 2002 على 340 محطّة تلفزيونية، وشاهده أكثر من 97% من الشعب الأمريكي.

حاول الفلم أنْ يوصل صورة النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) بخطاب منطقي هادئ يُلامس العقلية الغربية ويجيب على معظم التساؤلات والشُبهات التي تُثار حول الإسلام والمسلمين معتمدًا على أحداث السيرة النبوية ويطرح من خلالها القيم الإسلامية التي بُنِيت عليها شخصية النبي محمّد (صلى الله عليه وآله) ويستشهد بنماذج حية من الشخصيات الإسلامية ممّن يعيشون في أمريكا على وفق هذه القيم وكأنما يريد أنْ يقول للناس: ((هذا محمّد... وهؤلاء أتباع محمّد))[2].

أحداث أيلول 2001 غيّرت العالم ككل، كما أنها وضعت المجتمع المسلم تحت الأنظار، وكوّنت الكثير من العدائية؛ ولذلك أصبح للسينما وجهٌ آخر يتمثل بما قدمته من أفلام، لم تكن فكرتها مبنية على وجهة نظر سليمة، وإنما كانت تقوم على أسس يبدو فيها الحقد واضحًا، فيما قدّمته من مواضيع تناولت حياة النبي (صلى الله عليه وآله) والعقيدة الإسلامية بطريقة ساخرة ومهينة، وقد عرض العديد من هذه الأفلام عبر وسائل العرض والاتصال المختلفة. والأمثلة على ذلك كثيرة، ففي فلم (الخضوع) وهو فلم قصير مُدّته (12) دقيقة يقدّم المخرج (ثيوفان جو) تصور الكاتبة (إيان حرزي علي)* لوضع المرأة في الإسلام. ويعرض بطريقة مهينة للعقيدة الإسلامية، حدّ الزنى، وضرب الزوجة، وموضوع قوامة الرجال على النساء، ثلاث نماذج، أما النموذج الرابع فيعرض امرأة تصلي؛ لأنها مرغمة على الصلاة، وقد عُرِض الفلم في 29 آب 2004م في هولندا[3].

ويُعد فلم فجر سبتمبر (September Dawn) من بين الأفلام التي أساءت بوضوح وبشكل مباشر إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وقد عرض في سنة 2006 والفلم يتحدّث عن جريمة حقيقية وقعت في عام 1887م ارتكبتها طائفة من النصارى يُقال لها المورمان، بإبادة أكثر من 150 شخص بما في ذلك شوي الأطفال، من طائفة بروتستانتية مُهجّرين من ميسوري وأوركنساس في طريقهم إلى كاليفورنيا، وصادف أنْ توقّفوا في ولاية يوتاد معقل المورمان، وفي الفلم يظهر قائد المورمان وهو يقول:((سأكون لهذا الجيل محمّدا الثاني الذي كان مبدؤه في السلام هو القرآن أو السيف، ولهذا مبدؤنا سيكون جوزيف أو السيف))[4]. إلا أن الفلم الأكثر أهمية بسبب ما أثاره من ردود أفعال لدى المسلمين، هو الفلم الذي اشتُهِر باسم (براءة المسلمين: Innocence of muslims) وقد عُرِف قبل ذلك باسم (براءة بن لادن) وأُخرِج في أول الأمر تحت اسم (محاربو الصحراء Desert Warriors) وقد أُنتِجَ في أمريكا ولم تُحدّد هوية مُنتجه أو مُخرجه في بادئ الأمر، إلا أنّ الشُبهات تحوم حول (نقولا باسيلي نقولا) مواطن أمريكي من أصل قِبطي[5].

---

(1) المصدر نفسه .
(2) ينظر: محمد تراث نبي (فيلم) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، فلم/ ar.wikipedia /wiki .
* إيان حرزي علي: برلمانية هولندية من أصل صومالي معروفة بارتدادها عن الإسلام وعدائها الشديد له، كتبت سيناريو الفلم وشاركت في تمثيله. ينظر: www.alarabia .html . 6079 – 9 – 2004 – articles – Net .
(3) ينظر: الخضوع (فيلم) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الخضوع فلم/ ar.wikipedia /wiki .
(4)فيلم فجر سبتمر, اساءة اخرى للرسول www.vb.eqla3.com
(5) ينظر: براءة المسلمين/ wiki/ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، ar.wikipedia. org .

والفلم كما تحدّث عنه مُنتجه (باسيلي) مُدّته ساعتان، وقد استغرق تصويره ثلاثة أشهر من صيف عام 2011م، وشارك فيه 57 من الممثلين، وبلغت كُلفة إنتاجه خمسة ملايين دينار تمّ تغطيتها من تبرعات 100 يهودي من الذين يودّون فضح مساوئ الدين الإسلامي على حدّ قوله[1].

ومُخرج الفلم (ألان روبرتس Alan Roberts) مدير لإنتاج مواد إباحية، وعُرِض الفلم في مسرح استُؤجِر في كالفورنيا في 23 حزيران من عام 2012 بحضور عشرة أشخاص، ثمّ حملت دعايته وعدد من مقاطعه على موقع (you tube) في حزيران من عام 2012، ولكنّ أحداً لم ينتبه لذلك سوى عدد قليل من الناس. حتى أيلول عام 2012 حيث قام مدوّن ألكتروني يُعرَف بـ (موريس صادق Morris Sadik) يعيش خارج مصر، بترجمة الفلم إلى العربية، وأرسل الرابط إلى أحد الصحفيين، وفي 8 أيلول 2012 قامت قناة (الناس) الفضائية المصرية بعرض مقاطع من الفلم، الأمر الذي أدّى إلى إثارة المُسلمين في مختلف أنحاء العالم[2].

والفلم من الناحية الفنية لا يتوفّر على أدنى الشروط الفنية التي يمكن من خلالها إطلاق صفة فلم عليه، فهو هزيل فنّيًا، ولا يمتلك مستوى جيّدا من الإخراج مع رداءة أداء ممثّليه، ولغته هزيلة واستفزازية تهدف إلى استفزاز الآخرين وإثارة مشاعرهم، فهي مزيج من عبارات السب والشتم والاحتقار، تكاد لا تختلف عن لغة (الآيات الشيطانية)[3].

لقد قدم الفلم مجموعة من القضايا أراد منها النيل من نبي الإسلام والإسلام والمسلمين في عدد من المشاهد؛ ولذلك فإن البحث سيتعرّض لهذه المشاهد بحسب ما تناولته بغضّ النظر عن تسلسلها الذي عُرِضت بموجبه، وهذه المواضيع كالآتي:

1 – التخويف بالإسلام من خلال تقديم أعمال جماعة إسلامية في مصر .

2 – محاولة تسقيط شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والتشكيك في رسالته، ويمكن وضع هذا الموضوع تحت عنوان (الرسول(صلى الله عليه وآله) والرسالة).

3 – محاولة الانتقاص من شخصية الرسول من خلال طرح موضوع الجنس والنساء (شبهة النساء في حياة النبي (صلى الله عليه وآله).

4 – تعامل الرسول(صلى الله عليه وآله) مع الآخر، وأخلاقه في الحروب (الإسلام والآخر).

المبحث الاول : التخويف بالإسلام

على الرغم من أنّ فكرة الفلم تقوم على استدعاء التاريخ وتوظيف المرويات التأريخية لصنع مشاهد الفلم، لكنّ مُخرِج الفلم ارتأى أنْ يبدأ من الحاضر، وكأنّه يريد أنْ يقول إنّ أحداث اليوم هي نتاج ثقافة الماضي، وإنّ المسلمين اليوم نتاج تربية بدأها النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) منذ أنْ بشّر برسالة الإسلام.

في هذا المشهد يُركّز المُخرج على مجموعة يوحي مظهرهم أنّهم مسلمون بما اعتاد الناس على رُؤيته من لحىً كثّة وأثواب بيضاء قصيرة، وهذه المجموعة تحمل هراوات و... تأتمر بإمرة رجل منهم كأنه شيخ جامع، يُوجِّههم كيفما يريد ويوحي وضعه على أنه مصدر الفتوى للجماعة. ويبدو أنّ الجماعة في طريقهم لمهاجمة عيادة طبيب نصراني، وفي لقطة يركز عليها المخرج يقتل أحدهم امرأة من المارّة، تبدأ المجموعة بتدمير العيادة وصيدليتها وإتلاف محتوياتها، وفي هذه الأثناء يأمرهم الشيخ بحرق الصيدلية قائلا: ((احرقوا صيدلية الكافر النصراني)) كلُّ ذلك يجري أمام أنظار الشرطة المصرية، والتي عندما حاول بعض أفرادها التدخل لمنع الاعتداء، منعهم قائدهم وأمرهم بعدم التدخل قائلا: ((حتى ينتهي الأمر أو تصل أوامر أخرى))

(1) مؤلف فلم براءة المسلمين, www.masrawy /news/press/en/2012/setember . Com

(2) براءة الإسلام – براءة المسلمين للكاتب شادي نايف، 21 أيلول 2012 . على موقع:
. htpp:// www. Cairosecurity comp. com

3)) بنشليخة، براءة المسلمين هزيل فنيًا,html . 62443/ et‹culture /art/ Com .hespress

مما سبق يمكن التوقف عند أمرين أساسيين هما كالآتي:

الأول: تعريف الشيخ الإسلامي للنصراني بأنه (الكافر النصراني).

الثاني: موقف الشرطة المصرية وقت حدوث الواقعة.

فيما يتعلق بالأمر الأول: من الواضح أنّ مادة هذا المشهد تقوم أساسًا على الفتاوى التي أطلقها – وما زال– مشايخ التكفير والتي تُحرّض على القتل، وهي سبب للكثير مما يحدث من عمليات قتل وتدمير في العديد من بقاع المعمورة ولاسيما التي ينتشر فيها الدين الإسلامي.

والمشهد على ما يبدو انعكاس لما يحدث في مصر من صراع بين الأقباط و(المسلمين) في مصر. وهذا الصراع لم يأتِ من فراغ وإنما هو استجابة مباشرة لفتاوى مشايخ التكفير ممن شغلت فتاواهم مساحات كبيرة من وسائل الإعلام المختلفة حيث يُكفِّرون فيها النصارى ومنهم الأقباط، ويدفعون أتباعهم لمحاربتهم وقتلهم، فعلى سبيل المثال:

أصدر محمد بن صالح العثيمين الفتوى رقم (5665) يكفّر فيها النصارى[1]. ولما سُئل بنُ باز عن حُكم من يُكفِّر اليهود والنصارى، فقد أجاب: هو مثلهم[2]. وفي الاتجاه نفسه كانت فتوى الشيخ علي باروس التي يقول فيها: ((من لم يكفّر اليهود والنصارى أو شكَّ في كفرهم فهو كافر))[3]. وفيما يتعلّق بالقبط خاصة فقد صدرت العديد من فتاوى تكفيرهم، فقد صرّح الشيخ عبد المنعم الشحّات لبرنامج القاهرة اليوم الذي تعرضه قناة أورينت الفضائية: ((أنَّ القبطي كافر وان قلت غير ذلك سأخالف عقيدتي))[4]. وفي ذات المعنى جاءت فتاوى ياسر برهامي كان وقد وصف أقباط مصر بالكفار أكثر من مرة داعياً اياهم الى دفع الجزية[5]. ولو رجع أصحاب فتاوى تكفير القبط إلى مواقف النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله) من القبط لوجدوا أنفسهم على النقيض ممّا أوصى به (صلى الله عليه وآله) فقد قال في وصيّة خاصة بالقبط: ((الله الله في أقباط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عُدّةً وأعوانًا في سبيل الله))[6]. وفي رواية ((فَإِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ؛ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا؛ فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا. أَوْ قَالَ: ذِمَّةً وَصِهْرًا))[7]. والرَحِم الذي عناها رسول الله (صلى الله عليه وآله) كون هاجر أم إسماعيل (عليه السلام) منهم، والصهر كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) منهم[8].

وعليه فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) جعل للقبط حقوقًا، تضمن لهم سلامتهم وعيشهم الآمن في ظلّ الإسلام وكنف المسلمين، فقد جعل لهم الذِمّة، أي عهد رسول الله وعهد المسلمين مما يتوجّب رعايته والحفاظ عليه ((وحقّ الذِمّة أنْ تُقبل منهم ما قَبل الله عزّ وجل منهم ولا تظلمهم ما وفوا الله عزّ وجل بعهده))[9].

لم ينس الذين فتحوا مصر وصيّة النبيّ بالقبط، وخير دليل على حسن تعامل المُسلمين مع القبط في مصر الاتّفاق الذي أُبْرِمَ بين عمرو بن العاص قائد فتح مصر وبين المقوقس عظيم مصر: ((لمّا فتح عمرو بن العاص مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممّن راهق الحكم إلى ما فوق ذلك، ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي، فأحصوا بذلك على دينارين دينارين، فبلغت عدّتهم ثمانية آلاف ألف))[10].

---

(29) حكم تكفير اليهود والنصارى,الموقع الالكتروني نداء الإيمان, www.aleman.com

(2)عبد العزيز بن عبد الله بن باز, salmat / 4086 .http:// .orgwww.binbaz

(3)الشيخ علي بارويس/ منبر علماء المسلمين, www. Olammaa. Yemen

(4)عبد المنعم الشحاة . القبطي كافر, على الموقع الالكتروني,الاقباط المتحدون .united.com/Article.php?I=786&A=35318،www.copts

(5)،زعيم_سلفي_مصري_اليهود_والنصارى_كفار, على الموقع الالكتروني arabic.rt.com/.../574948 .

(6)الهيثمي,علي بن ابي بكر (ت 807 هج), مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تحقيق حسام الدين القدسي, مكتبة القدسي,القاهرة, 63/10 .

(7) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت261هج),صحيح مسلم,بشرح النووي,بيروت, دار احياء التراث العربي,ط2، 2009م, رقم الحديث 2534.

(8) ابن عبد الحكم,ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله(ت257 هج), فتوح مصر واخبارها, بغداد,مكتبة المثنى, ص 2 ؛ ينظر: النووي. ابو زكريا محيي الدين (ت676هج),رياض الصالحين، تحقيق: شعيب الارناؤوط,بيروت, مؤسسة الرسالة, ط3، 1419هج, 1998م,ص 133.

(9) الصدوق, محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ), من لا يحضره الفقيه,مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان, ط1، 1426هـ، 2005م, ص 427 .

(10)ابن عبد الحكم، فتوح مصر, ص 70 .

وقد وجد المقوقس في الاتفاق ما يضمن سلامة رعيته؛ لذلك نجده يحثّ ملك الروم أنه يرضى بالاتفاق هو الآخر قائلاً ولمن عارض الاتفاق من الروم: ((ويحكم أما يرضى أحدكم أنْ يكون آمنًا في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة))[1].

ممَّا تقدّم فإنَّ الإسلام لم يتعرض إلى القبط بسوء ولم يكفّرهم؛ ولذا فإنَّ أمر تكفيرهم لا يتعلّق بالعقيدة وإنما تكفيرهم ربما يكون منشؤه توظيف العقيدة لصالح السياسة ((لقد أفرغ تيار الإسلام السياسي الذي اكتشف المصريون مؤخّرا أن الأصحّ تسميته التيار المُتاجر بالدين على مدى أكثر من عام أكثر الأفكار عدوانية على مفهوم الوطن وحقوق المواطنة وتشويهه شركاء الوطن من الأقباط))[2]. ولذلك فإنّ المتاجرة بالدين لتحقيق مصالح جزئية أو فئوية أدّى إلى فرز طائفي هدّام في المجتمع ليس بين مكوّنات المجتمع المصري فقط، بل تعدّى ذلك إلى مكونات المجتمع الإسلامي كله.

وهنا يمكن تحديد المتغيّر الذي تركه الطبيب لابنته كي تكتشفه بنفسها والذي أراده المخرج أنْ يبقى مفتوحا للمشاهد ليكتشفه بنفسه وكيف يمكن أنْ يتغير الإنسان من إنسان عادي إلى إرهابي، وجاءت المعادلة بعد أنْ مهّد لها المخرج بأحداث دموية هيّأ فيها ذهن المشاهد لأنْ يقول إن المتغير الذي يمكن أنْ يحلّ المعادلة هو الإسلام.

والمعادلة كما دوّنها الطبيب على اللوحة أمام زوجته وابنته

Man + X = BT

وقد ترجمت في نسخة الفلم الناطق بالعربية إلى:

إنسان + X = إرهابي إسلامي.

وفيما يتعلق بالأمر الثاني من هذا المشهد وهو موقف الشرطة المصرية وعدم تدخّلها لوقف ما يحدث من اعتداء على الأقباط، فإنّ هذا الموقف يجده المتابع للأحداث قد أشار إليه العديد من وسائل الإعلام، وربما وُثِّق بالصوت والصورة، فعلى سبيل المثال : ذكر فرانسوا باسيلي في مقالته الأقباط الذين لا يعرفهم أحد يصف حادثة وقعت في مصر: ((وكانت أكثر الأحداث دموية بعد ذلك هي الكشح* الأولى والثانية ... ثمّ الاعتداء غير المسبوق على كاتدرائية الأقباط بالقاهرة مع تقصير فاضح من جانب الأمن التي أظهرت الفيديوهات أن المعتدين على الكاتدرائية كانوا يقذفونها بالحجارة والرصاص وهم واقفون بجانب رجال الأمن دون أي ردع لهم))[3].

إنّ تراكم هذا الكم الكبير من الأحداث على صفحات الشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعي هي التي أعطت المسوغات المادية لهذا المشهد من الفلم، ولو كان المخرج سليم النية وواضح القصد في دفاعه عن الأقباط، لطرح الموضوع من زاوية السياسة لا من زاوية العقيدة؛ لأن موقف الإسلام كعقيدة من (الآخر) بشكل عام ومن القبط بشكل خاص سواء وهو ما جاء في القرآن الكريم فنظّم العلاقة مع الآخر كقوله تعالى في النصارى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[4]، كما أنّ القرآن الكريم قد وصفهم بأنهم ذوو رأفة ورحمة، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[5].

---

(1)المصدر نفسه,ص 71 .

(2)فرانسوا باسيلي، في 4/ 5/ 2013 (الأقباط الذين لا يعرفهم أحد) . على موقع:
Tanrirnews. Com /news /vew/aspex/cdate/ 040520 13 Id = 596513 F 13

* الكشح الأولى: أعمال عنف واضطرابات وقعت في 31 ديسمبر 1999، في منطقة الكشح بمركز اليلينا بمحافظة سوهاج في صعيد مصر أدت إلى مقتل 20 شخصا كان 19 منهم من أتباع الكنيسة القبطية، وأصيب 33 آخرين بجروح، وسببه خلاف وقع بين تاجر قبطي وأحد الزبائن المسلمين عشية رأس السنة 31/ 12/ 1999 . حادثة الكشح/ ar.wikipedia.org – wiki،

(3) فرانسوا باسيلي، في 4/ 5/ 2013 (الأقباط الذين لا يعرفهم أحد) . على موقع:
Tanrirnews. Com /news /vew/aspex/cdate/ 040520 13 Id = 596513 F 13

(4) سورة المائدة,الاية/ 82 .

(5) سورة الحديد, الاية/ 27 .

المبحث الثاني: الرسول (صلى الله عليه وآله) والرسالة الإسلامية.

حين يكون الهدف الإسلام فإنّ العمل يجب أنْ يجري على أكثر من محور ولذلك اختار المخرج العمل على محورين أساسين ظنّ أنه من خلالهما يستطيع تحقيق هدفه، كان المحور الأول هو استهداف شخص النبيّ (صلى الله عليه وآله) من خلال الطعن في نسبه ومحاولة إثبات مجهولية نسبه على أنه (ابن زنا) مما يعني فقدانه لأهليّة النبوّة، ولذلك جاء هذا المشهد الذي يصور رجلين يمثّل أحدهما جدّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) والآخر يمثّل أحد أبنائه، يدور بينهما حوار هو:

الأب (عبد المطّلب): عيّل عمره ست سنين لأب مات من ست سنين، دَ مستحيل، دَ فضيحة.

الابن: اهدَأ يابا

الأب: اهدَأ ازّاي ابني مش ممكن يكون له طفل عمره سنتين، احنا تزوجنا بنفس الليلة ابني حمزة عمرو دالوقت ست سنين، مصيبة إيه دَ.

الابن: يابا احنا مش اغبيا، أنا عارف وقاهم، لازم نداري الفضيحة، خذه، وربّيه مع عبيدك.

الأب: أناديه إيه، انسبه لمين؟

الابن: نسميه محمد وناديه محمد بن أبيه.

الأب: عندك حق يا ابني.

هكذا دار الحوار في المشهد الثالث من الفلم، ولا بد من القول إن الفلم لم يأت بجديد في هذه الإساءة ذلك أن الكثير من الفضائيات تستضيف بعض القساوسة الذين يحاولون دائما إثارة هذه الشبهة للنيل من النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله). وهذا الطرح ليس غريبًا عليهم؛ ذلك أنهم جُبلوا على هذه الثقافة، وليس بعيدا اتهام اليهود لعيسى (عليه السلام) بأنه ابن زنى وأنه وُلِد من سفاح، وأن أمه لم تتزوّج وأنها حملتْ به من سفاح من (يوسف النجار)[1].

وفيما يتعلق بما جاء في المشهد أعلاه فإن المخرج حاول توظيف روايات السيرة المتعلقة بزواج عبد الله والد النبي، وزواج عبد المطلب، وعمر حمزة عمّ النبي ليصل إلى هدفه في إيجاد هذه الشبهة. دون تمحيص أو تحليل أو الأخذ بروايات أخرى.

الرواية الأولى:

عن محمد بن عمر بن واقد الأسلمي: ((كَانَتْ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلابٍ فِي حِجْرِ عَمِّهَا وُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ. فَمَشَى إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بن هاشم ابن عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ – صلعم– فَخَطَبَ عَلَيْهِ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ فَزَوَّجَهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَخَطَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ ابْنَتَهُ هَالَةَ بِنْتَ وُهَيْبٍ عَلَى نَفْسِهِ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا. فَكَانَ تَزَوُّجُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَتَزَوُّجُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ. فَوَلَدَتْ هَالَةُ بِنْتُ وُهَيْبٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَكَانَ حَمْزَةُ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّسَبِ وَأَخَاهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ. [...و] لَمَّا تَزَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلاثًا. وَكَانَتْ تِلْكَ السُّنَّةَ عِنْدَهُمْ إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ فِي أَهْلِهَا))[2].

الرواية الثانية:

تتحدث عن استشهاد حمزة بن عبد المطلب : ((وَقُتِلَ. رَحِمَهُ اللَّهُ. يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَثَلاثِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. كَانَ أَسَنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلعم– بِأَرْبَعِ سِنِينَ))[3].

الرواية الثالثة:

تُوفِّي عبد الله بن عبد المطلب ((وَرَسُولُ اللَّهِ "صلعم"يَوْمَئِذٍ حَمْلٌ، وَلِعَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ تُوُفِّيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً))[4].

---

(1) متي 55/13 .
(2) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت 230 هج),الطبقات الكبرى, بيروت,دار صادر 1957م, 1/ 94 – 95 .
(3) ابن سعد, الطبقات, 3/ 10 .
(4) ابن سعد, الطبقات, 1/ 99 .

الروايات الثلاث مصدرها الواقدي وفيها – كما يبدو – اضطراب، تزوّج عبد الله وعبد المطلب في يوم واحد، وتوفّي عبد الله في العام نفسه، فولدت آمنة محمّدًا (صلى الله عليه وآله) وولدت هالة حمزة ثم يأتي السؤال أن حمزة أسنّ من النبي بأربع سنين.

استغل المُشكّكون في نسب النبي (صلى الله عليه وآله) هذا الاضطراب في الروايات وقالوا: لكي ننسف الروايات فإن محمدا يجب أنْ يكون قد ولد بعد زواج عبد الله من آمنة بأربع سنوات وإذا كان عبد الله قد تُوفِّي في العام الذي تزوّج فيه فهو في هذه الحالة لا يمكن أنْ يكون من عبد الله بن عبد المطّلب؛ ولذلك فهو ابنٌ غير شرعي.

لقد كان مخرج الفلم ومن يرى هذا الرأي ممّن سبقوه أو من جاؤوا بعده يعتمدون الانتقائية في اختيارهم للرواية المتعلقة بمولد النبي (صلى الله عليه وآله) ويقدمونها بالطريقة التي تخدم أغراضهم، ويصحب هذه الانتقائية كثير من التزييف والادّعاء. ولكشف زيفهم وبيان طريقتهم بانتقاء الرواية التاريخية، يمكن تناول عدد من الروايات الأخرى التي تتعلق بذات الموضوع ومقارنتها مع بعضها وتحليلها للوصول إلى الرواية الأقرب للحقيقة والأكثر قبولاً، ناهيك عن اتباع نقد السند للتأكّد من سلامة الرواة، فعلى سبيل المثال:

– ففي ما يتعلق بزواج عبد المطلب وابنه عبد الله في مجلس واحد، تجد رواية عباس بن هشام تقول: ((تزوج عبد المطلب هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي أم حمزة ابن عبد المطلب، ولدته قبل مولد رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم بأربع سنين أو نحوها. ثم زوج عبد المطلب ابنه عبد الله: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وكانت في حجر عمها أهيب بن عبد مناف، فولدت له رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[1].

وفيما ذكر عن نذر عبد المطلب أنْ ينحر أحد أبنائه قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي أنّ عبد المطلب نذر ((لَئِنْ أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ عَشَرَةَ ذُكُورٍ حَتَّى يَرَاهُمْ أَنْ يَذْبَحَ أَحَدَهُمْ. فَلَمَّا تَكَامَلُوا عَشَرَةً. فَهُمُ: الْحَارِثُ وَالزُّبَيْرُ وَأَبُو طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ وَحَمْزَةُ وَأَبُو لَهَبٍ وَالْغَيْدَاقُ وَالْمُقَوَّمُ وَضِرَارٌ وَالْعَبَّاسُ. جَمَعَهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ لِلَّهِ بِه))[2].

وكان الوفاء بالنذر قبل أنْ يتزوّج عبد الله من آمنة، فقد رُوي أنَّه بعد أنْ أنقذ عبد الله من الذبح بفدائه بمئة ناقة من الإبل ((انصرف عبد المطلب آخذا بيد ابنه عبد الله، فمر – فيما يزعمون– ... فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة– ووهب يومئذ سيد بني زهرة سنا وشرفا– فزوجه آمنة بنت وهب، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا، وهي لبرة بنت عَبْدِ الْعُزَّى ... فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقع عليها، فحملت بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "))[3].

مما تقدّم يتبيّن مدى الاختلاف في الروايات التي تتحدث عن زواج عبد الله والد النبي ووفاته وعن ولادة النبي (صلى الله عليه وآله) وعن زواج عبد المطّلب بهالة أم حمزة، هذا الاختلاف هو الذي مكّن الذين في قلوبهم مرض من الانتقاء والتدليس والتزييف للوصول إلى أغراضهم في الإساءة إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

بعد أنْ حاول كاتب سيناريو الفلم النيل من شخص النبيّ (صلى الله عليه وآله) يحاول في المشهد التعرّض للرسالة الإسلامية والمراحل الأولى من الوحي. ويعرض المشهد أحداث المبعث النبوي ويركّز على دور خديجة (عليها السلام).

يصوّر المشهد النبي (صلى الله عليه وآله) على شكل شاب، مهزوز وغير متوازن ينازع طفلة على قطعة من اللحم، أمام خيمة يظهر منها رجل يوحي مظهره بالغلظة والشدة أسود اللون ويصرخ بالنبي ويقول له: ستك بتدعوك فيجفل النبي خائفًا مرددا بهلع ستي ؟ ويقول للرجل: بلال خذني الى ستي فيدخله إلى داخل الخيمة ثم يجلس منزويا على أرض الخيمة فيبدو منه ما يعرّضه لغضب خديجة وكأنه لم يرتدِ ملابس داخلية لتقول له خديجة: استر نفسك ثم تبدأ عملية اختبار الوحي فيتنقل النبي تبعا لتوجيهات خديجة من فخذها الأيمن إلى الأيسر ثم تسفر عن حجابها وهي تسأله في كل حالة هل تراه؟ يقول: نعم وعندما تزيل حجاب رأسها يقول لها اختفى ولم يغفل مخرج الفلم أنْ يعرض خديجة في هذه اللقطات بشكل

(1) البلاذري، أنساب الأشراف, 1/ 79 .
(2) ابن سعد, الطبقات, 1/ 88 .
(3) الطبري, التاريخ, 2/ 243 .

فاضح مستخدما عنصر الإثارة لشدّ المشاهد. في هذا المشهد فإن المخرج يناقض نفسه في كونه قرأ كثيرًا من الكتب الإسلامية ولكن فاته وهو يصور النبي (صلى الله عليه وآله) غير محتشم أنْ :((اول شيء رأى النبي محمد(صلى الله عليه وآله) من النبوة أن قيل له استتر وهو غلام، فما رُؤيت عورته من يومئذ))[1].

كما أنه في تصويره لشخصية الرسول بالشكل الذي عرضه أمام خديجة منافي لما جاء في مرويات الكتب التي يفترض أنه قرأها فقد كان (صلى الله عليه وآله) في نظر السيدة خديجة قبل زواجه منها يمتلك مقوّمات الشخصية ما أثار إعجاب خديجة كما صرّحت هي بذلك عندما بعثت إليه تعرض نفسها عليه بقولها: ((يَا ابن عَمِّ. إنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِيكَ لِقَرَابَتِكَ، وَسِطَتِكَ فِي قَوْمِكَ وَأَمَانَتِكَ وَحُسْنِ خُلُقِكَ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ))[2]. وهي الشخصية المعروف عنها يومئذ بأنها ((أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا، كُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ))[3].

كلُّ ذلك والنبيُّ لم يبعث بعد فأين هي أمانته في تقديم ما قرأه من الكتب. فضلاً عن ذلك فإن الكاتب قد فشل في أنْ يمرر تدليسه وكذبه في هذا المشهد من خلال تقديمه بلالا غلامًا لخديجة، في مرحلة لم يكن لبلال أية علاقة تُذكر بالبيت النبوي، إذ كان بلال في المرحلة التي يتحدث عنها المشهد عبدًا من عبيد أمية بن خلف[4]، في حين أن الذي كان في بيت محمد (صلى الله عليه وآله) مولاه زيد بن حارثة قدم به حكيم بن حزام بن خويلد في رقيق من الشام أهداه لعمته خديجة بنت خويلد ((وهي يومئذٍ عند رسول الله... فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله "ص" وتبنّاه، وذلك قبل أنْ يُوحى إليه))[5].

إنّ الرواية الأقرب إلى ما طرحه مخرج الفلم في مقطع اختبار الوحي الذي تبنته السيدة خديجة هي التي وردت في كتاب السيرة النبوية لابن هشام وتحت عنوان ((تثبيت خديجة رضي الله عنها من الوحي: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي إسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ [5] مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ حُدِّثَ عَنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): أَيْ ابْنَ عَمِّ، أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إذَا جَاءَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَإِذَا جَاءَكَ فَأَخْبِرْنِي بِهِ. فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) لِخَدِيجَةَ: يَا خَدِيجَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي، قَالَتْ: قُمْ يَا بن عَمِّ فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُسْرَى، قَالَ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتُحَوَّلْ فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُمْنَى، قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَجَلَسَ عَلَى فَخِذِهَا الْيُمْنَى، فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي، قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَجَلَسَ فِي حِجْرِهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَحَسَّرَتْ وَأَلْقَتْ خِمَارَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَتْ يَا بن عَمِّ، اثْبتْ وأبشر، فو الله إنَّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ))[6].

إنَّ مناقشة الرواية وتحليلها وإبداء الرأي فيها تقع خارج دائرة هذا البحث، والذي يهمُّنا هو أنَّ كاتب الفلم، اعتمد رواية موثّقة في المصادر الإسلامية، وحتى أنه لم يكلّف نفسه في كتابة سيناريو المشهد؛ لأنه مكتوب وجاهز للتمثيل وهذا ما قام به المخرج . لم تكن الرواية من بنات أفكار المخرج لكن الرواية سهّلت للمخرج عرضها بالشكل الذي مكّن المخرج من طرح شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) بوصفه متلقّيًا للوحي لم يستطع أنْ يُميّز فيما إذا كان الذي رآه وحيًا أم أصابه مسٌّ من الجن. وكل الذي أضافه المخرج لهذا السيناريو هو روايته لتقديم المشهد بإظهار السيدة خديجة بشكل غير لائق، يبدو الغرض منه هو شدّ المشاهد إلى الفلم باستخدام الإثارة، ولاشك أنَّ في ذلك إهانة لمقام السيدة خديجة (عليها السلام) ولا نتوقع من مخرج قدّم النبيّ محمدا (صلّى الله عليه وآله) بالصورة التي قدّمها أنْ يقدِّم خديجة بأفضل منها.

(1) ابن سعد, الطبقات, 1/ 157 .
(2) ابن هشام، ابومحمد عبد الملك(ت 218هج), السيرة النبوية,ضبط نصه خالد رشيد القاضي,دار صبح, طبعه 3, 2009 م, 1/ 161.
(3) المصدر نفسه .
(4) ابن هشام, السيرة, ا/ 264 .
(5) ابن هشام, السيرة,1/ 210 .
(6) ابن هشام, السيرة, 1/ 203 .

ثم يتناول كاتب الفلم العنصر الأهم في موضوع نبوة محمد (صلّى الله عليه وآله) ومعجزته التي جاء بها وهو القرآن الكريم والذي حاول أعداء الإسلام ومناوئوهُ منذ أنْ بعث به (صلّى الله عليه وآله) أنْ يُشكِّكوا أنْ مصدره على أنّه ليس وحيًا من الله وأنّ ما ألفه (محمد) بمساعدة من أحد القساوسة فتارة ينسبون ذلك إلى بحيرى الراهب وأخرى إلى ورقة بن نوفل، وقد رد القرآن على هذه الفرية بالآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[1].

وقد ظلَّ هذا الموضوع يتجدد، ولذلك فإنَّ ما جاء به مخرج الفلم لم يكن جديدًا كما أنّه لم يكن من خياله، وإنما هو كعادته في المشاهد الأخرى، يعمل على توظيف المرويات الإسلامية ليفتري بها ليس فقط على النبيّ (صلى الله عليه وآله) وإنما قوَّل السيدة خديجة ما لم تقل، كما أنه افترى على ورقة واتهمه دون وجه حق حسبما جاء في حوار الممثلين المدبلج إلى العربية ففي الحوار تخاطب خديجة ورقة: (يا ريت يابن العم تساعدنا) فيرد عليها: (سوف أساعدكم يا خديجة سوف أعمل لمحمد كتاب شوية من التوراة وشوية من الإنجيل وأخلطهم يعملوا آيات مضروبة)

في هذا المشهد يتجاوز كاتب الفلم الحدود التي اعتدنا الوقوف عندها في مشاهد سابقة، ولكن إدراك ذلك بالرجوع إلى طبيعة العلاقة بين ورقة والبيت النبوي كما وصفتها المرويات الإسلامية، لم تكن علاقة معلم بمتعلم، ولا يوجد في مرويات السيرة ما يفيد مثل هذه العلاقة، وفيما يأتي عدد من الروايات التي توضح العلاقة بين النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) وبين ورقة:

عندما فكّرت السيدة خديجة بالزواج من النبي محمّد (صلّى الله عليه وآله) استشارت ورقة بعد أنْ ذكرت له ما أخبرها به غلامها ميسرة الذي رافقه لتجارتها إلى الشام فقال لها ورقة: ((لَئِنْ كَانَ هَذَا حَقًّا يَا خَدِيجَةُ، إِنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ كَائِنٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ نَبِيٌّ يُنْتَظَرُ، هَذَا زَمَانُهُ))[2].

كانت تلك بداية ظهور شخصية ورقة في حياة النبيّ محمد (صلّى الله عليه وآله) وهذه البداية ترتبط بخديجة لقرابة ورقة منها حتى ان بعض المرويات تذكر أنّ ورقة هو الذي تولّى عقد زواج خديجة من النبيّ محمد (صلّى الله عليه وآله)[3]. ولذلك يذهب بعض المشككين إلى أنّ زواج النبي من خديجة كان على الطريقة المسيحية؛ ولذا لم يتزوج عليها[4].

لقد بالغ المغرضون في شخصية ورقة بن نوفل، لا من أجل ورقة وإنما لتحقيق أغراضهم في التشكيك في رسالة الإسلام ونبوة محمد (صلّى الله عليه وآله) وما كتبوه في هذا الميدان كبير يكاد المحصي لا يطيقه، ولو طرحنا نموذجًا على مثل هذه المؤلفات وليكن الكتاب الموسوم (قس أو نبي) لوجدنا فيه أنّ ورقة يكاد يكون هو من يتعهد رعاية محمد (صلّى الله عليه وآله) وتربيته دون سواه، وذلك ما يمكن إدراكه حتى دون قراءة المتن، خذ مثلا عنوانات مباحث فصل من فصوله (القس يزوج النبي، القس بدرب النبي، القس يعلم النبي، القس يعلن النبي خليفته)[5].

وهناك من كان أكثر تصريحًا وأكثر تشكيكًا، فعندما يُطالعنا عنوان (فترة التكوين في حياة الصادق الأمين) هذا يعني أننا أمام كتاب يبحث في البدايات الأولى للسيرة النبوية الشريفة، ولكنّ الغريب في الأمر أنّ مؤلف الكتاب يرى أنّ خديجة وورقة بن نوفل قد بذلا جهدا كبيرا((في الاعداد والتصنيع والتهيئة والتأهيل حتى طرح ذلك العمل الصبور,الدؤوب المتاني المخطط والمرسوم بدقة متناهية ثمرته الناضجة))[6].

هكذا وصفوا ورقة، فهل كان ورقة – كما وصفوه– لم تعط المرويات الإسلامية هذه الأهمية، وهذا الدور للقسّ ورقة، فقد كان واحدًا من أربعة هم: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل، لم تعجبهم ديانة قومهم، فقالوا لبعضهم: ((يَا قَوْمِ الْتَمِسُوا لِأَنْفُسِكُمْ دِينًا، فَإِنَّكُمْ وَاَللَّهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ. فَتَفَرَّقُوا فِي الْبُلْدَانِ

(1) سورة النحل, الاية / 103 .
(2) ابن هشام, السيرة, 1/ 163 .
(3) الحلبي.علي بن ابراهيم بن احمد(ت1044هج), السيرة الحلبية, بيروت,دار الكتب العلمية, ط2,1427هج, 202/1 .
(4) ابو موسى الحريري . قس ونبي, ص22 .
(5) المصدر نفسه,ص 20 .
(6)خليل عبد الكريم,فترة التكوين في حياة الصادق الامين,القاهرة,دار مصر المحروسة,ط4, 2002م , ص18 .

يَلْتَمِسُونَ الْحَنِيفِيَّةَ، دِينَ إِبْرَاهِيمَ. فَأَمَّا وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ فَاسْتَحْكَمَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ، وَاتَّبَعَ الْكُتُبَ مِنْ أَهْلِهَا، حَتَّى عَلِمَ عِلْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ))[1].

يتبيّن مما تقدم أنّ ورقة لم يكن من دين نصراني وإنما بحث عن دين يدين به فوجد النصرانية وتنصّر، ولم تُشِر الرواية إلى أنّ ورقة قد بشّر بالنصرانية أو أسّس لهذه الديانة في مكة؛ ولذلك لم يكن ورقة مبشِّرا حتى يكون معلّمًا وهذا ما يعترف به مؤلف كتاب قس ونبي ((ولسنا نجد في مكة في أيام النبي محمّد، غير القس ورقة يلازم محمّد طيلة الأربعين سنة))[2]، ونلاحظ أنّ المؤلف على الرغم من اعترافه بعدم وجود نصارى في مكة، إلا أنه يبالغ في علاقة القس ورقة بالنبي محمّد (صلّى الله عليه وآله).

ولذلك نجد أنّ كاتب الفلم يركّز على دور ورقة لا كمعلم فقط وإنما هو من وَضَع القرآن لمحمّد، فهو في الوقت الذي يستمرّ في تشويه شخصية محمد (صلّى الله عليه وآله) حيث يتناول واقعة الحمار يعفور ويقدمها بشكل يحاول فيه إظهار النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) غير متوازن في مشهد تبدو فيه خديجة إلى جوار ورقة والنبي يحدث الحمار، وهذا المقطع هو توظيف رواية تناقلتها كثير من المصادر[3]، وإن اختلفت في تفاصيل ذكر الحدث إلا أنها اتّفقت على مضمون القصة، والرواية التي تتفق وما جاء في مشهد الفلم هي: ((فَكَلَّمَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) الْحِمَارَ فَكَلَّمَهُ الْحِمَارُ، فَقَالَ له: ما اسمك، قال: يزيد ابن شِهَابٍ، أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ جَدِّي سِتِّينَ حمارا كلهم لم يركبهم إلا نبى، لم يَبْقَ مِنْ نَسَلِ جَدِّي غَيْرِي، وَلَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرُكَ، وَقَدْ كُنْتُ أَتَوَقَّعُكَ أَنْ تَرْكَبَنِي... فقال النبي (صلى الله عليه وآله): سميتك يعفور، يا يعفور، قال: لبيك، قال: تشتهى الْإِنَاثَ؟ قَالَ: لَا، فَكَانَ النَّبِيُّ "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" يَرْكَبُهُ لِحَاجَتِهِ))[4].

ومن الجدير بالقول: أنّ المصادر التي أوردت هذا الحديث هي ذاتها التي تنكره، فقد قال ابن الأثير: ((هذا حديث منكرٌ جدّا إسنادًا ومتنًا، لا أحل لأحد أن يرويه عني إلّا مع كلامي عليه))[5].

أما ابن الجوزي فيقول عن حديث يعفور: ((هذا حديث موضوع فلعن الله واضعه، فإنه لم يقصد إلا القدح في الإسلام والاستهزاء به))[6]. أما كان من الأجدر بمن يروي هذا الحديث وغيره مما صار مادة للمسيئين أنْ تُحذف من المصادر العربية حتى تُقطع دابر الإساءة إلى الرسول والرسالة. ثم ينتقل المشهد إلى (خديجة) وهي تتوسل ورقة أنْ يساعد (محمدا) فيعدها ورقة بأنه ((سيعمل له قرآنا يجمعه له من التوراة والإنجيل)).

في هذا المشهد يُفتضح أمر الكاتب أكثر مما كان عليه في المشاهد السابقة؛ ذلك أنَّ خديجة لم تطلب من ورقة مساعدة محمّد وإنما ذهبت إلى ورقة لتسأله عن طبيعة ما حصل لـ(محمد) كما جاء في روايات المبعث النبوي الشريف بعد أنْ حدّثها النبي (صلّى الله عليه وآله) عن الوحي الذي رآه، الأمر الذي دعا خديجة أنْ تذهب إلى ورقة ((فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، أَنَّهُ رَأَى وَسَمِعَ، فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، وَالَّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ، لَئِنْ كُنْتِ صَدَّقْتِينِي يَا خَدِيجَةُ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى، وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ))[7].

وهنا يبدو واضحًا دور ورقة، فهو لم يتجاوز معرفته من خلال ما قرأه من كتب اليهود والنصارى وهي لا بد وأنّ تحوي أخبارًا عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) ذلك أنّ القرآن الكريم يخبرنا أنَّ أهل الكتاب ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[8].

---

(1) ابن هشام، السيرة, 1/ 190 .
(2) قس ونبي,ص 22 .
(3) الكليني, محمد بن يعقوب (ت329هج),اصول الكافي, 1/ 237؛ ابن الأثير, ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت 630 هج), أسد الغابة في معرفة الصحابة,تحقيق: علي محمد عوض,بيروت, دار الكتب العلمية, ط1، 1994م, ج6 ص298 رقم الحديث 6291 ؛ الذهبي, شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت748 هج), ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت,دار المعرفة للطباعة والنشر) ط1، 1963 م,4/ 34 ؛ ابن كثير,ابي الفداء اسماعيل (ت774هج), البداية والنهاية, 6/ 158.
(4) ابن كثير، البداية والنهاية, 6/ 166 .
(5) ابن الأثير، أسد الغابة, 6/ 304 .
(6) ابن الجوزي, جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت 597 هج),تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان,المدينة المنورة,المكتبة السلفية, ط1، 1966م,294/1 .
(7) ابن هشام، السيرة, 1/ 202؛ابن سعد,الطبقات,1/ 195 .
(8) سورة البقرة, الاية/ 146 .

ثم يحاول كاتب الفلم أنْ يعزّز دور ورقة على أنه مصدر (محمد) بربط حادثة (فتور الوحي) تأخر الوحي عن النبي (صلى الله عليه وآله) التي تناقلتها المرويات الإسلامية وذكرتها كتب التفسير.

في قول ابن إسحاق ((ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَتْرَةً مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَحْزَنَهُ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ الضُّحَى))[1].

فقد فسر ابن كثير الآية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[2]، وهي الآية التي بها ردّ الله تعالى على الذين قالوا للرسول (صلى الله عليه وآله): (ما أرى ربك إلا قد قلاك) فقد رُوي عن ابن عباس قوله: ((لما نزل على رسول الله "ص" القرآن أبطأ جبريل أيامًا فقال المشركون ودّعه ربّه وقلاه فأنزل الله ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾))[3].

وقد تزامن فتور الوحي مع وفاة ورقة بن نوفل، الأمر الذي هيّأ الفرصة لمن يربط بين الإسلام وبين ورقة، وقد تساءل أحد شخوص الفلم ((ايه علاقة موت ورقة بحضور الوحي)) وهذا سؤال يستحق الإجابة، ذلك أنّ تأخر الوحي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليس له علاقة بموت ورقة؛ لأنّ ورقة أصلاً لا علاقة له بالوحي لا من قريب ولا من بعيد كما في الصفحات السابقة، ولكن كاتب الفلم – جريًا على عادته– حدث فتور الوحي ليثير الشبهة في نبوة محمّد (صلى الله عليه وآله)، وذلك أنه أظهر (محمدا) جزعًا ومترددا يحاول الانتحار ((أنا طلعت الجبل مرتين، قبل الآن على شان انتحر، لن هذه المرة سوف انتحر واقتل نفسي)) وهذا الوصف يبدو تجسيدًا لما جاء في المرويات الإسلامية، فقد ذكر ابن سعد في رواية ابن عمر: ((لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِحِرَاءٍ مَكَثَ أَيَّامًا لا يَرَى جِبْرِيلَ. فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا حَتَّى كَانَ يَغْدُو إِلَى ثَبِيرٍ مَرَّةً وَإِلَى حِرَاءٍ مَرَّةً يُرِيدُ أَنْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ))[4].

لقد حاول كاتب الفلم كغيره من الذين سبقوه أنْ يجدوا صلة بين رسالة الإسلام وبين ورقة كيما يقولوا: إنّ الذي علّم محمّد هو ورقة، والمرويّ في المصادر التي استلّ منها الكاتب مادّة فلمه أنّ ورقة لم يلتقِ النبيّ إلا مرّة واحدة في بداية نزول الوحي بعد أنْ أخبرته خديجة بالذي حصل لمحمّد (صلى الله عليه وآله) فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) يطوف في الكعبة فيلقاه ورقة بن نوفل، فيقول له: ((يَا بن أَخِي أَخْبِرْنِي بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى وَلَتُكَذَّبَنَّهُ وَلَتُؤْذَيَنَّهُ وَلَتُخْرَجَنَّهُ وَلَتُقَاتَلَنَّهُ، وَلَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ، ثُمَّ أَدْنَى رَأْسَهُ مِنْهُ، فَقَبَّلَ يَافُوخَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِلَى مَنْزِلِهِ))[5].

في كلّ ما تقدّم فإنّ ورقة كان مستفهمًا، ومقارنًا مع ما لديه ولم يكن في أيّة رواية من الروايات التي ذكرت في هذا المشهد معلّمًا، ولقد اتُّهِمَ النبيُّ في تلك المرحلة مثل هذا الاتّهام ولكن ليس مع ورقة، بل مع غلامٍ نصرانيٍّ يُقال له – جبر– عبدًا لبني الحضرمي لا يعرف العربية كما بيّن الله تعالى ذلك في القرآن الكريم ردًّا على اتّهام قريش: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[6]، ويُقال إن الغلام اسمه بلغام وكان قينًا بمكّة كان يعلّمه رسول الله (صلى الله عليه وآله)[7].

وهكذا تبيّن أنّ ما ذهب إليه كاتب الفلم في التشكيك بمصدر القرآن لم يكن صحيحًا على الرغم من محاولاته من تدليس وتحريف.

---

(1) ابن هشام, السيرة,1/ 205 .
(2) سورة الضحى, الاية/ 3 .
(3)ابن كثير, ابي الفداء اسماعيل (ت774هج), تفسير القران العظيم,تحقيق: محمد حسين شمس الدين, بيروت, دار الكتب العلمية, ط1419،1 هج,518/4 .
(4) ابن سعد, الطبقات, 1/ 169، ؛ البخاري, محمدبن اسماعيل (ت256هج), صحيح البخاري,تحقيق: محمد زهير ناصر, دار طوق النجاة, ط1422،1هج, 30/9 ؛ والرجوع للموقع الألكتروني: islamqo. info .
(5) ابن هشام, السيرة, 1/ 203 .
(6) سورة النحل, الاية/ 103 .
(7) ينظر: الطبري .ابو جعفر محمد بن جرير(ت 310 هج), جامع البيان في تاويل القران,تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي, دار هجر للطباعة والنشر, ط2001،1م 364/14 ؛ ابن كثير,التفسير,518/4 .

شبهة النساء في حياة النبي (صلّى الله عليه وآله):

يُلاحظ مما تقدم طريقة المخرج في تناول شخص النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والعقيدة الإسلامية، فقد قدّم النبي (صلى الله عليه وآله) بصور مختلفة متدرجة تصاعديًّا في مستوى الإساءة إليه والانتقاص منه حتى وصل إلى تقديمه بصورة المهووس جنسيًّا، وقد رافق هذا التصعيد تصعيد في الإساءة إلى الإسلام الذي بشَّر به محمد (صلى الله عليه وآله) فقدّم المسلم بصورته التي أرادها له من خلال نموذج الإسلامي المتطرّف، وانتقل إلى محاولة التشكيك في أصول الإسلام، ثم قدّم الإسلام وكأنه من صنع (محمد) من خلال تقديمه النبي (صلى الله عليه وآله) وكأنه يُصدر الآيات القرآنية على هواه وحسبما تحتاجه مواقفه الشخصية، وقد وجد المخرج أنّ الجنس مدخلٌ بالغ الأهمية للولوج إلى عقل المشاهد؛ لما فيه من إثارةٍ وسعة خيال. مهّد المخرج لهذا الموضوع من خلال الحوار بين العسكري المصري وصاحب الصيدلية، فقد تطرّق إلى عدد زوجات الرسول الذي يتباهى به العسكري المصري الذي يُفتَرض أنه مسلم؛ لأنه تحدّث إلى صاحب الصيدلية غير المسلم قائلا له: لعلمك أن نبينا متزوج من 61 امرأة منهن 11 في وقتٍ واحد غير ملكات اليمين.

طرح كاتب الفلم أرقامًا تمثّل أعداد زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) وكأنها أمرٌ مُسلَّمٌ به في الوقت الذي اختلفت فيه الأقوال عن ذلك العدد، فقد صنّف ابن سعد ازواج الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى ثلاثة أصناف وضع كلّ صنف تحت عنوان خاص به فكان الأول (في ذكر أزواج رسول الله) ذكر فيه أسماء من تزوّجهن رسول الله، وقد عدّد في هذا الباب اثنتي عشرة زوجة، ثم يذكر الصنف الثاني (من تزوّج رسول الله من النساء فلم يجمعهنّ ومن فارق منهنّ وسبب مفارقته إياهن) ويعدّ في هذا الباب ستة أسماء، ثم يذكر الصنف الثالث (من خطب النبيّ(صلى الله عليه وآله) من النساء فلم يتمّ نكاحه ومن وهبت نفسها من النساء لرسول الله(صلى الله عليه وآله)) فيعدد تسعة أسماء[1]. في حين يُنقَل عن أهل البيت (عليهم السلام) أنّ رسول الله(صلّى الله عليه وآله) ((تزوّج ثماني عشرة امرأة واتّخذ من الإماء ثلاثا))[2].

إن الاختلاف في معرفة عدد زوجات الرسول (صلّى الله عليه وآله) على وجه الدِقّة وتعدد نوع العلاقة هيّأ الفرصة للمسيء في أنْ يقدّم النبيّ بالصورة التي تحقّق أهدافه في الإساءة إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ومن تعدّد الزوجات، إلى التي تهب نفسها إلى النبي، ففي واحد من المشاهد التي توظّف الإثارة لتعطي بها تزييف الحقيقة، يقدّم المخرج فتاة في وضع فيه شيء من الإثارة تُخاطب (محمد) وهو جالس بين عدد من أصحابه لتقول له: (زوجي ذهب مع القافلة) فيقول لها (محمد): اذهبي انتظريني في خيمتك سوف آتي إليك، لترد عليه امرأةٌ كانت تجلس معهم يبدو أنها السيدة عائشة من خلال الرجوع إلى الروايات بقولها: ((أليس عيبا أن امراة متزوجة تعرض نفسها على رجل غريب)) فيردّ عليها (محمد) : ((كأنك لم تقرئي القرآن، قال الله تعالى في القرآن للرسول الحق في أي امرأة يحبها إذا كان يريد، ثم يتلو الآية القرآنية: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

في هذا المشهد استند كاتب الفلم على واحدة من وقائع السيرة النبوية التي نزلت بموجبها الآية القرآنية الكريمة، فقد ذكر من فسّر هذه الآية أنَّ سبب نزولها كان في ((امرأة من الأنصار أتت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد تهيأت وتزيّنت فقالت: يا رسول الله هل لك فيّ حاجة؟ فقد وهبتُ نفسي لك ... فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ارجعي رحمك الله فأني أنتظر أمر الله، فأنزل الله الآية))[4]، وقد وردت الرواية عند البخاري بأسماء صريحة، فقد ذكر: ((كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهنّ للنبيّ(صلى الله عليه وآله) فقالت عائشة، أما تستحي المرأة تهب نفسها للرجل))[5].

---

(1) ابن سعد، الطبقات, 52/8 – 160 .

(2) ابن شهراشوب, رشيد الدين عبد الله بن محمد(ت 588هج), مناقب آل أبي طالب, تحقيق: السيد علي السيد جمال اشرف الحسيني,قم,منشورات المكتبة الحيدرية, ط1431،1هج,1/ 159.

(3) سورة الأحزاب, الاية/ 50 .

(4) القمي,الشيخ ابي الحسن علي بن ابراهيم (ت329هج), تفسير القمي صححه وعلق عليه: الطيب الموسوي الجزائري,دار الكتاب للطباعه والنشر, ط3,ج2ص195.

(5) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب هل للمرأة أنْ تهب نفسها لأحد: 4823

ما قام به المخرج هو تحريف بسيط وواضح من خلال مقارنة الرواية بالحوار الذي دار في المشهد.

ولو كان النبي(صلى الله عليه وآله) يركض وراء شهوته كما قدّمه المخرج لاستجاب لكلّ من وهبتْ نفسها له ولكن سوء الهدف الذي يسعى المخرج للوصول إليه قد دفعه لإساءة توظيف النص، فالتي تهب نفسها للنبي (صلى الله عليه وآله) ليست على ذمّة زوج كما قدّمها، كما أن ليس إلزاماً أنْ يقبل النبي(صلّى الله عليه وآله) بمن تهب نفسها له، فقد رفض النبي(صلى الله عليه وآله) أم شريك غزيّة بنت جابر بن حكيم عندما وهبت نفسها له فلم يقبلها[1]. كذلك خولة بنت حكيم بن أمية قد وهبت نفسها للنبي (صلى الله عليه وآله) لكنه أرجأها فتزوّجها عثمان بن مضعون[2].

ولذلك فإنّ (يستنكحها) التي وردت في الآية الكريمة قد تعني أنْ يجد لها من يناسبها ويزوّجها إياه بحكم أنه أصبح وليّ أمرها، فقد رُوِي عن سهل بن سعد أنّه قال: ((جاءت امرأةٌ إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقالت: إنّي وهبتُ من نفسي، فقامت طويلاً، فقال رجل زوِّجنيها إن لم تكن لك بها حاجة، قال: هل عندك شيء تصدقه قال: ما عندي إلا إزاري، فقال: إنْ أعطيتها إياه جلست لا إزار لك، فالتمس شيئًا فقال: ما أجد شيئًا، فقال: التمس ولو خاتمًا من حديد، فلم يجد، فقال: أمعك من القرآن شيء؟ قال: نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سمّاها، فقال: زوّجناكها بما معك من القرآن))[3].

وهكذا فإنّ الكاتب وظّف المرويات الإسلامية وجسّدها برؤية إخراجية تذهب بالحدث بعيدًا عن حقيقته، بتحريف بسيط يختلف قليلاً عن الرواية، فبدل أنْ تقول الراهبة: (إني وهبت نفسي) قالت: (زوجي ذهب مع القافلة) فبدّل الكاتب بهذه العبارة صفة الراهبة والقصد من هبتها حيث حول القصد من المشروع إلى اللامشروع.

وفي المشهد المتعلّق بزواج النبي(صلى الله عليه وآله) من عائشة فإنّ كاتب السيناريو يعتبره نوع من الشذوذ ويبين الحوار بين من يفترض أنه أبو بكر وذريته أن أبا بكر يقول لزوجته: ((محمد بيده السلطة والقوة وسيتزوج ابنتك أن قلنا نعم او قلنا كلا))

من نص الحوار يتبيّن أن الكاتب يرى أن أبا بكر كان مكرهًا على تزويج عائشة من النبيّ محمد(صلى الله عليه وآله)) وأنّ (محمدا) ما دام يملك السلطة والقوة فهو يفعل ما يريد دون رادع وفي هذا تزييف للرواية وتوظيف سيّئ القصد لها، فرواية زواج النبي(صلى الله عليه وآله) من عائشة: ((خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ عَائِشَةَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كُنْتُ وَعَدْتُ بِهَا أَوْ ذَكَرْتُهَا لِمُطْعَمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ لابْنِهِ جُبَيْرٍ فَدَعْنِي حَتَّى أَسْلُّهَا مِنْهُمْ. فَفَعَلَ. ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَسُول اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَكَانَتِ بكرا))[4].

وفي رواية: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) رَأَى عَائِشَةَ عَلَى أُرْجُوحَةٍ فَأَعْجَبَتْهُ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ يَكُنْ حَاضِرًا. فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ رُومَانَ: مَا حَاجَتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: جِئْتُ أَخْطُبُ عَائِشَةَ. قَالَتْ: إِنَّ عِنْدَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هِيَ أَكْبَرُ مِنْهَا. قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ عَائِشَةَ. ثُمَّ خَرَجَ. وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله تعالى عنه، فَأَخْبَرَتْهُ أُمُّهَا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله). فَخَرَجَ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ. وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ الأَرَاجِيحِ))[5].

من الروايتين يستطيع من يريد الإساءة وتشويه صورة النبيّ يُظهِر النبي (صلى الله عليه وآله) وكأنّه أكره أبا بكر على تزويجه من عائشة. ففي الرواية الأولى كانت موعودة لجبير بن مطعم، فسلّها أبو بكر منهم، وفي الثانية عرضت عليه أم رومان زوجة أبي بكر من هي أكبر من عائشة فلم يرض رسول الله وأصرَّ على عائشة وعندما جاء أبو بكر أخبرته أم رومان فوافق دون أنْ يعترض، ثمّ يأمر رسول الله بقطع الأراجيح، كلّ ذلك يُوحي أنَّ زواج رسول الله من عائشة وكأنّه فرض بسلطته وهذا ما استثمره كاتب الفلم مصرّحاً وعلى لسان أبي بكر أنّ (محمدا) يمتلك السلطة والقوة التي تمكّنه من إتمام هذا الزواج.

(1)ابن سعد,الطبقات, 8/ 154.
(2)ابن سعد, الطبقات, 8/ 158.
(3)صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب هل للمرأة أنْ تهب نفسها: 3/ 164 .
(4)ابن سعد, الطبقات, 8/ 101 .
(5)البلاذري, احمد بن يحيى(ت279هج),انساب الاشراف,تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي,بيروت,دار الفكر, ط1996،1م,40/2.

وفي عرضه لموضوع زواج النبيّ (صلى الله عليه وآله) من زينب بنت جحش يحاول الكاتب التأكيد على أنَّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) ينطق عن هواه وينزل آيات القرآن متى شاء وحسب رغبته، كما يصوّر النبي (صلى الله عليه وآله) في وضع غير لائق مع زينب التي يقدّمها المخرج في وضعٍ فيه الكثير من الإثارة. ويبدو أنّ المخرج قد وظّف ما قرأه من روايات تتعلق بالموضوع مبثوثة في المصادر التاريخية وكتب التفسير والحديث، تتحدث بشكل يمكّن المخرج من تجسيد المشهد بشكل يشدّ المشاهد إليه.

((كانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ مِمَّنْ هَاجَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِلَى الْمَدِينَةِ. وَكَانَتِ امْرَأَةً جَمِيلَةً فَخَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أَرْضَاهُ لِنَفْسِي وَأَنَا أَيِّمُ قُرَيْشٍ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ لَكِ. فَتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ))[1].

فهي جميلة وقد اختار رسول الله (صلى الله عليه وآله) ابنه بالتبنّي زيد بن حارثة للزواج بزينب، وكان رسول الله يزور زيدا في بيته زيارة الأب لابنه، وفي واحدة من زياراته ((جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) بَيْتَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ يَطْلُبُهُ وَكَانَ زَيْدٌ إِنَّمَا يُقَالُ لَهُ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ. فَرُبَّمَا فَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – السَّاعَةَ فَيَقُولُ: أَيْنَ زَيْدٌ؟ فَجَاءَ مَنْزِلَهُ يَطْلُبُهُ فَلَمْ يَجِدْهُ وَتَقُومُ إِلَيْهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ زَوْجَتُهُ فضلا فَأَعْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) عَنْهَا فَقَالَتْ: لَيْسَ هُوَ هَاهُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَادْخُلْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. فَأَبَى رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وآله) أَنْ يَدْخُلَ وَإِنَّمَا عَجَّلَتْ زَيْنَبُ أَنْ تَلْبَسَ لَمَّا قِيلَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) عَلَى الْبَابِ فَوَثَبَتْ عَجْلَى فَأَعْجَبَتْ رَسُولَ اللَّهِ. فَوَلَّى وَهُوَ يُهَمْهِمُ بِشَيْءٍ لا يَكَادُ يُفْهَمُ مِنْهُ إلا رُبَّمَا أَعْلَنَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ. فَجَاءَ زَيْدٌ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَخْبَرَتْهُ امْرَأَتُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَتَى مَنْزِلَهُ. فَقَالَ زَيْدٌ: أَلا قُلْتِ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ؟ قَالَتْ: قَدْ عَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَبَى. قَالَ: فَسَمِعْتِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: سَمِعْتُهُ حِينَ وَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلامٍ وَلا أَفْهَمُهُ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ))[2].

وعندما رجع زيد إلى بيته أخبرته زوجه بقدوم رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأنه رفض الدخول إلى المنزل سألها زيد: فسمعت شيئًا؟ أخبرته بما قاله النبي(صلى الله عليه وآله) فجاء زيد حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: ((يا رسول الله بلغني أنك جئت إلى منزلي فهلّا دخلت؟ بأبي أنت وأمّي يا رسول اله لعلّ زينب أعجبتك فأفارقها، فيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمسك عليك زوجك))[3]. ويُلاحظ من الروايات السابقة أنّها وصفت زينب بالجميلة وقابلت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بوضع غير محتشم وتبيّن الرواية أنّه تلفّظ بعبارات توحي إلى إعجابه بها ثم يأتي زيد فتخبره زينب بالذي حصل ليذهب إلى رسول الله وفي نفسه أنّ زينب أعجبت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحاول أنْ يتأكّد من ذلك، فطرح السؤال على رسول الله لعلّ زينب أعجبتك. وإذا كان زيد الذي تربّى في بيت رسول الله قد خامره الشك في أنّ رسول الله أعجبته زينب، فما عسى كاتب يتحيّن الفرصة للإساءة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنْ يفعل؟ وهذا الذي حصل فإنّ مخرج الفلم تصرّف بالرواية وانحرف بها بالاتجاه الذي يحقق له الغرض الذي يسعى من أجله وهو الإساءة إلى الرسول، أبرز مفاتن (زينب) بشكل يشدّ من رآها إليه؛ لأنها (جميلة) وبدلاً من أنْ يُعرِض عنها الرسول (صلى الله عليه وآله) ويرجع عن دارها، يدخل إلى الدار وينفرد بها، وبدلا من أنْ يوصي زيد: ((أمسِكْ عليك زوجك)) يقول لها: أنت لي ومَنْ زيد الذي تعنين؟ ولأجلك ألغيت التبنّي وسأنزل بذلك قرآنًا ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[4]، ثمّ تأتي مقولة عائشة: ((والله ما أرى ربّك إلا يُسارع في هواك))[5].

وفي مشهد آخر يظهر النبي (صلى الله عليه وآله) في موضع غير لائق تدخل عليه امرأة فتكيل له الإهانات وهو يتوسّل إليها ثم تدخل أخرى لتشارك صاحبتها الإهانة والضرب له.

(1) ابن سعد, الطبقات,8/ 101.
(2)ابوجعفر, محمد بن حبيب(ت245هج), المحبر, تصحيح ايلزه ليختن, بيروت,دارالافاق الجديدة, ص 85 .
(90) ابن سعد, الطبقات,102/8
(4) سورة الأحزاب, الاية/ 37 .
(5) صحيح البخاري, 117/6 رقم الحديث 4788 .

من خلال سير أحداث المشهد يمكن القول إنه اعتمد على حادثة من حوادث السيرة النبوية الشريفة، والحادثة تتعلق بحفصة بنت عمر بن الخطّاب زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) ورواية الحادثة: ((انْطَلَقَتْ حَفْصَةُ إِلَى أَبِيهَا تُحَدِّثُ عِنْدَهُ وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى مَارِيَةَ فَظَلَّ مَعَهَا فِي بَيْتِ حَفْصَةَ وَضَاجَعَهَا. فَرَجَعَتْ حَفْصَةُ مِنْ عِنْدِ أَبِيهَا وَأَبْصَرَتْهُمَا فَغَارَتْ غَيْرَةً شَدِيدَةً. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَخْرَجَ سُرِّيَّتَهُ فَدَخَلَتْ حَفْصَةُ فَقَالَتْ: قَدْ رَأَيْتُ مَا كَانَ عِنْدَكَ وَقَدْ وَاللَّهِ سُؤْتَنِي. فَقَالَ النَّبِيُّ: فَإِنِّي وَاللَّهِ لأُرْضِيَنَّكِ. إِنِّي مُسِرٌّ إِلَيْكِ سِرًّا فَأَخْفِيهِ لِي. فَقَالَتْ: مَا هُوَ؟ قَالَ: أُشْهِدُكِ أَنَّ سريتي عَلَيَّ حَرَامٌ. يُرِيدُ بِذَلِكَ رِضَا حَفْصَةَ))[1].

وقد ورد في الحوار الذي قدّمه المخرج في الفلم عبارة (أعيّن أباك خليفة للمسلمين) وفي هذه العبارة يختلف الرواة كثيرًا وأكثر من اهتمّ بها كتب التفسير، التي تناولت الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]، فقد ذكر صاحب (كنز العُمّال) أنّ الذي أسرّه النبي لحفصة كان هو ((أنّ أباك وأباها سيملكان أو سيليان بعدي فلا تخبري عائشة))[3]، وعند البلاذري قال: ((أَسَرَّ إِلَى حَفْصَةَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَالِي الأَمْرَ بَعْدَهُ، وَأَنَّ عُمَرَ وَالِيهِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَخْبَرَتْ بِذَلِكَ عَائِشَةَ))[4].

هكذا وظّف المخرج الرواية الإسلامية؛ ليقدّم محمدا (صلى الله عليه وآله) ضعيفًا أمام نسائه، فيحرّم سرّيته طلبًا لمرضاتهنّ ويعدهنّ بتولية آبائهنّ السلطة من بعده.

تعامل النبيّ مع الآخر:

فيما تقدم كان جهد القائمين على الفلم منصبًّا على النيل من شخص النبي (صلى الله عليه وآله) في محاولة لإثبات عدم أهليّته لحمل الرسالة، كما لم تسلم الرسالة ذاتها من محاولة تجريدها من أصولها الإلهية بمحاولة إثبات دور ورقة بن نوفل في كتابة القرآن الكريم، وفي المشاهد الآتية يحاول كاتب الفلم أنْ يوظّف المرويات لتهديم العلاقة بين الإسلام والديانات الأخرى من خلال توجيه المرويات التي تصف هذه العلاقة بغير الاتجاه الذي هي عليه. ففي الوقت الذي تتحدث فيه مرويات السيرة النبوية سُمُوّ أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحروب التي فُرِضَت عليه.

يظهر مشهد الفلم (محمدا) يوصي أصحابه وهو يحثُّهم على القتال بقوله: ((اقتلوا الرجالة واسّروا النسوان، اغتنموا الغنائم، وكل حاجة لها قيمة، وتمتّعوا بالعيال والباقي بيعوهم عبيدا فيردّ عليه أصحابه والسيوف بأيديهم: محمّد رسولنا والقرآن دستورنا الله أكبر))

من أين جاء الكاتب بهذه العبارات، ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا فيه قول الله تعالى يأمر النبي (صلى الله عليه وآله): ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5]، وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد قال لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وهو في طريقه إلى خيبر: ((انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))[6].

وكان يوصي من يخرج للقتال من أصحابه (صلى الله عليه وآله): ((اخْرُجُوا بِسْمِ اللهِ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، لَا تَغْدِرُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ))[7]. كما كان (صلّى الله عليه وآله) يوصي اصحابه: ((لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا))[8]، ويبدو في هذا المشهد أنّ الكاتب تجاوز توظيف الرواية إلى تزييفها بل تعدّى أكثر من ذلك، فقد نسخها وجاء بضدِّها ونسبه إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله).

---

(1) ابن سعد، الطبقات, 8/ 187؛ البلاذري، أنساب الأشراف, 2/ 55 .
(2) سورة التحريم, الاية 1 .
(3) الدار قطني, ابو الحسن علي بن عمر (ت 385هج), تحقيق: شعيب الارناؤوط واخرون, بيروت, مؤسسة الرسالة, ط1، 2004م, 270/5, رقم الحديث 4302 .
(4) البلاذري، أنساب الأشراف, 2/ 56 .
(5) سورة النحل, الاية/ 125 .
(6)صحيح مسلم، 1872/4, رقم الحديث (2406) .
(7) ابن حنبل, ابو عبد الله احمد بن محمد (ت 241هج),مسند الامام أحمد,تحقيق: شعيب الارناؤوط واخرون,مؤسسة الرسالة, ط1،2001م,461/4,رقم الحديث2728 .
(8) أبو داود, سليمان بن الاشعث (ت275 هج), سنن ابي داود,تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد,بيروت, المكتبة العصرية, 53/3,رقم الحديث 2669 .

وفي المشهد الذي يُقدَّم فيه النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يتحاور مع رجل من اليهود يضيّق المخرج دائرة التعامل مع الآخر ليقترب من المحور الذي يشكّل الهدف الأساسي للفلم وهو يتأمّل النبي (صلى الله عليه وآله) مع اليهود. وقد كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يحاور اليهود كما كان يحاور غيرهم، غير أنّ المشهد في الفلم يظهر النبيّ (صلى الله عليه وآله) وكأنه فعل باليهود كما فعل بأريحا حيث قال الربّ ليسوع: ((انْظُرْ. قَدْ دَفَعْتُ بِيَدِكَ أَرِيحَا وَمَلِكَهَا، جَبَابِرَةَ الْبَأْسِ.))[1]، فيدخل يسوع وجنوده أريحا بأمر من الربّ ومباركته: ((وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ.))[2]، فكان ردّ الرجل اليهودي على (محمد) يلتمس العذر للربّ بأنّ الربّ ظل يعطي إنذارات قبل تدميرها لمدة 450 سنة، كما لم يطلب من أهلها أنْ يغيّروا يهوديّتهم. وكان كاتب الفلم يغمز إلى تعامل النبي مع يهود المدينة من (بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة) وقد كان تعامل النبي معهم لا يُقاس بتعامل يشوع مع سكان أريحا. ما قتل النبيّ رجالهم ولم يسب نساءهم أو أطفالهم بل اكتفى برحيلهم إلى الشام جزاءً بما ارتكبوا من خيانة ونقضٍ للعهد، ولعله يريد ما حلّ ببني قريظة في المرويات التاريخية التي تناقلتها كتب التاريخ والتي يرى الكثير من الباحثين أنها تخالف العقل والمنطق ((لأنها جاءت منافيةً لما ورد في النصوص القرآنية الكريمة))[3].

وتتصاعد لهجة الحوار مع اليهود لتصل إلى أنّ اليهودي يطرح موضوع التوحيد أنه موجود قبل الإسلام فقد كانت كثير من الأمم السالفة توحّد الله، ويبدو أنّ المخرج في تناوله الموضوع بهذه الطريقة يتناسى أو يتغافل عن وحدة المصدر للأديان وهو الله سبحانه وتعالى، لكنه أراد من هذا الطرح استفزاز (محمد) كي يقول له الذي قاله إن توحيد الله غير كافٍ ما لم تقل أشهد أنّ محمدا رسول الله وكأن النبيّ (صلى الله عليه وآله) لم يأتِ بها من الله وإنما هي من نفسه يدعو بها لنفسه.

واحتجاج اليهودي على النبيّ في أنّ الربّ لم يطلب من أهل أريحا باتباع اليهودي في إشارة منه إلى رواية فتح خيبر حيث سأل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وآله) يوم انتدبه لمقاتلة يهود خيبر ((يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَامَ أُقَاتِلُ قَالَ: «حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))[4]. فلم يدمّر النبي(صلى الله عليه وآله) خيبر ولا غيرها من مدن اليهود على عكس ما حلّ بأريحا حيث ((وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ.))[5]، ولم يكتفِ الربّ بذلك، فقد منع يسوع من إعادة بناء المدينة قائلاً: ((مَلْعُونٌ قُدَّامَ الرَّبِّ الرَّجُلُ الَّذِي يَقُومُ وَيَبْنِي هذِهِ الْمَدِينَةَ أَرِيحَا. بِبِكْرِهِ يُؤَسِّسُهَا وَبِصَغِيرِهِ يَنْصِبُ أَبْوَابَهَا))[6]، في حين أنّ خيبر ((صالحهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على النصف))[7]. ويختتم (محمد) حواره مع اليهودي بقوله: ((اذهب واقرأ القرآن، أو غور لفلسطين، أو ادفع الإتاوة)) ولم يشترط النبيّ (صلى الله عليه وآله) هذه الشروط على أيٍّ من القبائل التي كانت تساكن المسلمين في يثرب ولا حتى يهود خيبر. وفي الوقت الذي يقدم فيه المخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) هادئًا متماسكًا عندما ردّ عليه اليهودي (سوف أدوس القرآن... ويتف عليه) فإنه يقدمه قاسيًا في عقابه لعجوز ذكرته بسوء، حيث يربطها إلى بعيرين ويذهب كلٌّ بعير باتجاه فتشق نصفين.

استل كاتب الفلم مادة هذا المشهد من واقعة تتعلق بامرأة تُدعى أم قرفة ((وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر))[8]، وكما بيّن المشهد فإنها كانت تنال من النبيّ(صلى الله عليه وآله) وقد أراد كاتب الفلم أنْ يكون قتلها عقابًا لها على الإساءة إلى

(1) يشوع, 2/6 .
(2) يشوع,21/6 .
(3) انظر: هادي عبد النبي التميمي، قراءة جديدة في معاقبة الرسول صلى الله عليه واله لبني قريظة,وقائع المؤتمر العلمي السابع, اصدارات وحدة الدراسات والبحوث 44,الكلية الاسلامية الجامعة /النجف الاشرف,ص115، 130.
(4) ابن سعد, 3/ 110 .
(5) يشوع, 6/ 24 .
(6) يشوع, 6/ 26 .
(7) ابن هشام, السيرة, 3/ 296 .
(8) الطبري، التاريخ, 2/ 642 .

النبيّ(صلى الله عليه وآله) وهذا تزييف للحقيقة وصرف الرواية عن مقصدها الأساس؛ ذلك أنّ واقعة أم قرفة وردت في غزوة زيد بن حارثة التي وقعت في رمضان من العام السادس الهجري ((خَرَجَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ بَضَائِعُ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلم، فَلَمَّا كَانَ دُونَ وَادِي الْقُرَى لَقِيَهُ نَاسٌ مِنْ فَزَارَةَ مِنْ بَنِي بَدْرٍ فَضَرَبُوهُ وَضَرَبُوا أَصْحَابَهُ وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ، ثُمَّ اسْتَبَلَّ زَيْدٌ وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم، فَأَخْبَرَهُ فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِلَيْهِمْ فَكَمَنُوا النَّهَارَ وَسَارُوا اللَّيْلَ وَنَذِرَتْ بِهِمْ بَنُو بَدْرٍ ثُمَّ صَبَّحَهُمْ زَيْدٌ وَأَصْحَابُهُ، فَكَبَّرُوا وَأَحَاطُوا بِالْحَاضِرِ وَأَخَذُوا أُمَّ قِرْفَةَ))[1]. إلى أنْ تصل الرواية إلى الحالة التي قُتِلت فيها أم قرفة والتي اعتمدها كاتب الفلم ووظّفها للتشنيع بالإسلام ونبيّ الإسلام، وقد وردت الرواية في عدّة وجوه، فعند ابن هشام: ((فأمر زيد بن حارثة قيس بن المحس أنْ يقتل أم قرفة فقتلها قتلا عنيفًا)) [2].ولم يوضح طبيعة القتل العنيف وماهية العنف الذي استخدم في قتلها.

اما ابن سعد فيقول: ((وعمد قيس بن المحسر الى ام قرفة,فقتلها قتلا عنيفا :ربط بين رجليها حبلا ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها))[3].ويتفق الطبري مع ابن سعد في تفسير القتل العنيف لام قرفة : ((فامر زيد بن حارثة ان يقتل ام قرفة فقتلها قتلا عنيفا,ربط بين رجليها,ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقاها))[4]

من الروايات السابقة نجد أنّ كاتب الفلم قد وظّف رواية القتل العنيف ليتّهم فيها(صلى الله عليه وآله) ليوهم المشاهد أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) هو الذي أمر بقتلها انتقامًا لنفسه؛ لأنها كانت تذكره بسوء في حين أنّ الذي أمر بقتلها زيد بن حارثة بعد أنْ أسرها فيمن أُسِرَ بالمعركة، ولا بد من التوضيح أنّ أم قرفة كانت تعدّ من المقاتلين؛ ولذلك تُعامَل معاملة المقاتل في الحرب، وقد أكّدت ذلك السيّدة عائشة، بقولها: ((وكانت أم قرفة جهزت أربعين راكبا من ولدها وولد ولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقاتلوه فأرسل إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) زيد بن حارثة فقتلهم وقتل أم قرفة وأرسل بدرعها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنصبه بالمدينة بين رمحين))[5].

يتصاعد إيقاع الإساءة إلى النبيِّ محمد (صلى الله عليه وآله) ولرسالة الإسلام ومع هذا التصاعد يبدأ الكاتب بالكشف عن الأهداف الأساسية لمشروع الفلم، ويذهب باتجاه صفية بنت حيي بن أخطب زوجة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ذلك أنّ صفية هي سبيّة من سبيٍّ خيبر. وأهميّة صفيّة كونها من اليهود وأنّ زواج النبيّ منها لم يكن في ظروف طبيعية، أبوها حيي بن أخطب من وجهاء يهود ينتهي نسبه إلى هارون بن عمران، وأمها برّة بنت سموأل من بني قريظة ينتهي نسبهم إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، كانت متزوجة من سلام بن مشكم القرظي ثم فارقها، فتزوّجها كنانة بن الربيع النضري والذي قُتِل يوم خيبر[6].

في هذا المشهد يبالغ الكاتب كثيرًا في تزييفه للحقائق حيث صوّر مقتل كنانة بن الربيع زوج صفية بعيدًا كلّ البعد عما تناقلته مرويات السيرة النبوية الشريفة، فكما جاء في المشهد أنّ الربيع مربوط على عمود وإلى جانبه يقف رجلٌ يحمل سيفًا، وهو يتحدّث إلى صفية زوجته، يودّعها الوداع الأخير ويوصيها وصيته، وهذه الوصية يمكن اعتبارها هي المحور الأساسي لما عُرِض من الفلم من مشاهد، وأهم ما جاء في الوصية:

أ – ربنا حيفتكر اليهود ويجمعهم في الأرض المقدسة.

ب – أتمنى ما ينسوش عظمنا وأن يدفعوا أحفاد محمد تعويضات كافية عن دم جدودنا. واغتصاب نسائنا، وأطفالنا، وبيوتنا وممتلكاتنا.

ولو قورنت هذه الوصية ومادة المشهد، بالروايات التي تحدّثت عن زواج النبي(صلى الله عليه وآله) من صفية، لتبيّن مدى الاختلاف الواسع والافتراء على النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن ابن سعد ((لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه

(1) ابن سعد, الطبقات, 3/ 90 .
(2) ابن هشام, السيرة, 4/ 231 .
(111) ابن سعد, الطبقات, 3/ 90 .
(112) الطبري، التاريخ, 642/2، 643.
(5) ابن سعد, الطبقات, 3/ 90 .
(6) الطبري، التاريخ, 2/ 643 .

وآله) خَيْبَرَ وَغَنَّمَهُ اللَّهُ أَمْوَالَهُمْ سَبَى صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ وَبِنْتَ عَمٍّ لَهَا مِنَ الْقَمُوصِ فَأَمَرَ بِلَالًا يَذْهَبُ بِهِمَا إِلَى رَحْلِهِ فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم صَفِيٌّ مِنْ كُلِّ غَنِيمَةٍ فَكَانَتْ صَفِيَّةُ مِمَّا اصْطَفَى يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَرَضَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) أَنْ يُعْتِقَهَا إِنِ اخْتَارَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَتْ: أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَسْلَمَتْ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا وَجَعَلَ عِتْقَهَا مَهْرَهَا))[1].

ويُلاحظ أنّ هذه الرواية لا تقترب من المادة التي قدّمها المخرج، في حين أنّ ابن إسحاق قد ذكر رواية أوردها ابن هشام يمكن أنْ تكون هي الرواية التي اعتمدها كاتب الفلم لصنع المشهد وفيها يصف ابن إسحاق مقتل كنانة زوج صفيّة: ((وَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله) بِكِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ عِنْدَهُ كَنْزُ بَنِي النَّضِيرِ، فَسَأَلَهُ عَنْهُ، فَجَحَدَ أَنْ يَكُونَ يَعْرِفُ مَكَانَهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله) رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِنِّي رَأَيْتُ كِنَانَةَ يُطِيفُ بِهَذِهِ الْخَرِبَةِ كُلَّ غَدَاةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) لِكِنَانَةَ: أَرَأَيْتُ إِنْ وَجَدْنَاهُ عِنْدَكَ، أَأَقْتُلُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) بِالْخَرِبَةِ فَحُفِرَتْ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا بَعْضَ كَنْزِهِمْ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا بَقِيَ، فَأَبَى أَنْ يُؤَدِّيَهُ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، فَقَالَ: عَذِّبْهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مَا عِنْدَهُ، فَكَانَ الزُّبَيْرُ يَقْدَحُ بِزَنْدٍ فِي صَدْرِهِ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ بِأَخِيهِ مَحْمُودِ بْنِ مَسْلَمَةَ))[2].

إنّ رواية ابن إسحاق تكاد تقترب مما صوّره المخرج، ولنا في موضع مناقشة الرواية من حيث صدقها من عدمه بقدر ما تبيّن أثر الرواية في توفير المادة التي مكّنت من يريد الإساءة من القيام بعمله، فقد وظّف المخرج هذه الرواية توظيفًا يشدّ المشاهد ويُهيئُ ذهنه لتلقّي ما يريد الفلم قوله وقبوله على أنه أمرٌ مُسلَّمٌ به، والذي بدا واضحًا من وصية كنانة لزوجه صفية وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. فقد أفتكر الله اليهود بعد أنْ ساءهم (محمد) فجمعهم الله في الأرض المقدّسة (فلسطين) وهذه شرعنة لاغتصاب اليهود فلسطين.

وتمنى كنانة على بني قوم أنْ يدفعوا أحفاد محمد تعويضات كافية عمّا لحِق باليهود على يد (محمد) وبذلك فإنّ كلّ ما تفعله إسرائيل بالعرب إنما هو حقٌ لهم وسداد لديون أجدادهم.

وفي رواية أخرى تدحض ما جاء به كاتب الفلم، ((لَمَّا ظَهَرَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) عَلَى خَيْبَرَ صَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ لَيْسَ لَهُمْ بَيْضَاءُ وَلَا صَفْرَاءُ، فَأُتِيَ بِكِنَانَةِ وَالرَّبِيعِ، وَكَانَ كِنَانَةُ زَوْجَ صَفِيَّةَ، وَالرَّبِيعُ أَخُوهُ وَابْنُ عَمِّهِ، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): أَيْنَ آنِيَتُكُمَا الَّتِي كُنْتُمَا تُعِيرَانِهَا أَهْلَ مَكَّةَ؟ قَالَا: هَرَبْنَا فَلَمْ تَزَلْ تَضَعُنَا أَرْضٌ وَتَرْفَعُنَا أُخْرَى، فَذَهَبْنَا فَأَنْفَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُمَا: إِنَّكُمَا إِنْ كَتَمْتُمَانِي شَيْئًا فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهِ اسْتَحْلَلْتُ بِهِ دِمَاءَكُمَا، وَذَرَارِيَّكُمَا، فَقَالَا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ... فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُ بِالْآنِيَةِ وَالْأَمْوَالِ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمَا وَسَبَى أَهْلَيْهِمَا وَأَرْسَلَ رَجُلًا فَجَاءَ بِصَفِيَّةَ فَمَرَّ بِهَا عَلَى مَصْرَعِهِمَا، فَقَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم: «لِمَ فَعَلْتَ؟» فَقَالَ: أَحْبَبْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ أَغِيظَهَا. قَالَ: فَدَفَعَهَا إِلَى بِلَالٍ وَإِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ))[3].

مما تقدّم من الروايات لم نجد ما يشير إلى أنّ صفيّة شهدت مقتل كنانة مما يعني أنّ ما جاء في المشهد على أنه وصية كنانة لصفيّة هو مجرّد خيال كاتب الفلم، ولا يمتّ إلى الحقيقة بصلة.

تحمل لقطات المشهد الأخير من عرض الفلم الكثير من الرمزية والكثير من المغالطات، خروج (محمد) من الخيمة وهو ينظر إلى الأمام في صحراء مترامية الأطراف، وقد أراد المخرج من هذه اللقطة أنّ (محمدا) لا يتوقف عند حدود جزيرة العرب، وإنما يمتدّ طموحه إلى ما وراء ذلك، وكأنه يرى مقاتليه يمتطون خيولهم ويشهرون سيوفهم؛ ويقرّب المخرج اللقطة من أحدهم وهو ملطّخ بالدماء وسيفه يقطر دماً، وكأنّه يريد أنْ يقول: إن المسلمين متعطشون للدماء وهدفهم القتل، ثم يختم الفلم باندلاع نار كبيرة، أراد المخرج أنْ يقول فيها: هؤلاء هم المسلمون أوقدوا نار الحرب.

(1)ابن سعد, الطبقات, 8/ 121.
(2) ابن سعد، الطبقات, 8/ 120؛ البلاذري، أنساب الأشراف, 2/ 78 .
(3) ابن سعد, الطبقات, 8/ 121 .

من الواضح أنّ هذه النهاية للفلم تصل بالمشاهد إلى أنّ الإسلام دين أداته السيف في فرض نفسه على الناس، فليس لهم اختيار سوى ذلك.

ويمكن القول: إن مادة هذا المشهد اعتمدت على ما نُقِل عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، ويقيموا الصلاةَ ويُؤتُوا الزكاةَ، فَإِذَا فعلوا ذلك عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الإسلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))[1].

في هذا المشهد من مشاهد الفلم يتغافل كاتب الفلم عن المعنى الحقيقي لهذا الحديث، ويعتمد على المعنى المُجتزأ؛ ذلك أنّ الحديث يتعلّق بموضوع القتال، أي إن موقف الرسول(صلى الله عليه وآله) أمر بقتال من يبدؤوه بقتال حتّى يُسلم، وأساس القتال في الإسلام قولُه تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[2]، والإسلام ينظر إلى القتال على أنه كرهٌ؛ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُم﴾[3].

فحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي وظّفه كاتب الفلم ليعطي صورة عن الإسلام أنه يُوقد نار الحرب، هو حلقة في سلسلة طويلة موضوعها التعامل بين المسلم وغير المسلم مقيّد بكل حلقات هذه السلسلة بما يتّصل بفهم معناها الكلّي. وخير دليل عليه هو تعامل النبيّ (صلى الله عليه وآله) مع الآخر.

ولم يكن الإسلام في يومٍ هو من يوقِد نار الحرب، بل كان دائمًا هو الذي يُطفئها توكيدًا لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾[4].

الخاتمة:

ليس دفاعًا عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقد تعهّده الله تعالى فكفاه المشركين وردّ عنه كيد الطاعنين وقطع لسان المُسيئين، ولا محاولة لمناقشة المرويات أو نفيها؛ لأنها أثبت من أنْ تُنفى، وإنما لتوضيح مسارات مشاهد الفلم وفضح مقاصد القائمين عليه بتضليلهم الرأي وتزييفهم الحقائق في محاولة منهم لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة.

وقد بيّن البحث أنّهم اعتمدوا في ما قدّموه مُمثّلاً على (سيناريوهات) جاهزة ومُوثّقة في مصادر عربية إسلامية، يدّعي صانع الفلم أنّه قرأ منها أكثر من ثلاثة آلاف، وقد بيّن البحث أنّه لم يكن بحاجة لقراءة مثل هذا العدد من الكتب وإنما ضالّتهُ في عدد قد لا يتعدّى أصابع اليد الواحدة.

لم تكن المرويات هي الأساس في الإساءة فقط وإنما تتأكّد الإساءة من خلال توظيف الرواية، وتزييفها أحيانًا، وتوجيهها باتجاه القصد الذي يسعى إليه من يريد الإساءة، وهذا ما فعله القائمون على فلم (براءة المسلمين) ؛ ولذلك فإنّ الدفاع عن الإسلام ينبغي أنْ يكون خاضعًا لمنهجٍ علميٍّ رصين لا يعتمد ردود الأفعال مُحرِّكًا له، وعلى هذا الأساس ومن خلال مُجريات أحداث الفلم يرى الباحث أنّ بعض الرد يمكن أنْ يكون:

1 – بالمُسلم النموذج، ذاك الذي يتّبع قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[5]، أي التأسّي برسول الله تعالى قولاً وعملاً في تعامله مع الآخر، حتى لا نجد النموذج الذي قدّمه القائمون على الفلم في المشهد الأوّل منه.

2 – العمل الجاد والعقلي بتهذيب المصادر الإسلامية، فإذا كان ابن هشام قد أجاز لنفسه أنْ يتصرّف في مرويّات ابن إسحاق؛ لأنَّ ((بَعْضُهَا يَشْنُعُ الْحَدِيثُ بِهِ، وَبَعْضٌ يَسُوءُ بَعْضَ النَّاسِ ذِكْرُهُ، وَبَعْضٌ لَمْ يُقِرَّ لَنَا الْبَكَّائِيُّ بِرِوَايَتِهِ، وَمُسْتَقْصٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْهُ بِمَبْلَغِ الرِّوَايَةِ لَهُ، وَالْعِلْمِ بِهِ))[6]، فلِمَ لا ينتج من يعيد تدوين المرويات ويستعيد ما يسيء للرسول (صلّى الله عليه وآله).

(1) ابن هشام, السيرة, 3/ 295؛ الطبري, التاريخ, 3/ 14 .
(2)سورة البقرة, الاية/ 190.
(3) سورة البقرة,الاية /216 .
(4) سورة المائدة, من الاية/ 64.
(5)سورة الأحزاب, من الآية/ 21 .
(6)ابن هشام, السيرة 11/1 .

3 – لُوحِظ أنّه بعد عرض مقاطع من الفلم – وإنْ كانت غير مترابطة– خروج الملايين من المسلمين في تظاهرات تُندِّد وتستنكر ما جاء في الفلم، فهل كلّ الذين خرجوا بهذا الحماس شاهدوا الفلم؟ أم أنّهم – كما يقول الإمام عليُّ بنُ أبي طالب (عليه السلام)– ((ينعقون وراء كلِّ ناعق)) فإذا كانَ الذين خرجوا تنديدًا بالفلم؛ لأنه أساء، فهناك الكثير من الأفلام أشدُّ إساءةً، وهناك الكثير مما تُقدِّمه الفضائيات في بثٍّ حيٍّ أكثر إساءةً وأسوء ألفاظًا على مقام النبيّ(صلى الله عليه وآله)، فلِمَ لم يخرج أحدٌ مُنددًا بها، أم هو هدف من أهداف عرض الفلم نجح القائمون على الفلم في تحقيقه لإثبات (براءة المسلمين).

4 – وفي الوقت الذي تُعرَضُ فيه أفلامٌ تُسيءُ للرسول (صلى الله عليه وآله) فإنّ هناك الكثير من الأفلام التي تُنصِف الإسلام، وتُعطي الرسول (صلى الله عليه وآله) مكانته التي تعتزُّ بها الإنسانية، وتُقدّم للمشاهد المُسلم النموذج. فلنُشجِّعْ وندعمْ مثل هذه الأفلام، ولتَكُنْ ردًّا على الأفلام المُسيئة، ولْنَخْرُجْ لها كما خرجنا على تلك.

نسأل الله التوفيق والسداد وأنْ يحتسب ذلك في ميزان أعمالنا، وله الحمد حمد الشاكرين.